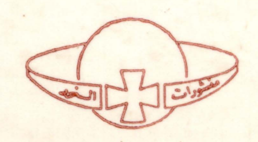


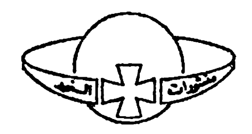
رهبنة
دير مار جرجس الحرف

مَدخل
إلى الكتاب المقدّس




رهبنة
دير مار جرجس الحرف

مَدخل إلى الكتاب المقدّس



– هذه في الاساس دروس تلقاهـــا رهبان دير مار جرجس الحرف من الارشمندريت أندريه سكريما . ثم اعطيت لقادة حركة الشبيبة الارثوذكسية في الحلقة التدريبية الثانيـة في حصرون صيف ١٩٦٣ . ثم بناء على طلب منشورات النور اضيف عليها الفصل الاخير الذي يبحث في التجسد ورتبت وجهزت للنشر .

– اننا نورد ذلك لنوضح ان هذه الدروس ليست « دروساً » في الحقيقة بقدر ما هي حديث حي قد وجه الى اشخـــاص معينين ، بل « اختبار » عاشه رهبان دير مار جرجس الحرف صيف ١٩٦١ في جو صلاة وحرارة والفة في مرحلة من مراحل طريقهم الرهباني ، طريق تلقنهم للحياة الروحية وتعمقهم فيها .

– ولذا لا تتناول هذه الصفحات درس الكتاب المقدس بصورة شاملة ودقيقة مع انهـــا تراعي متطلبات المعرفة العلمية عند اللزوم . لكنها تحاول أن تتجاوز الكتاب (إذا جاز القول) لتبلغ من خلاله الى الاختبار الكنسي المعاش في ملئه : تتجاوز حرف الكتاب لتبلـغ من ورائه الى الروح . الى ملء حيـــاة الكنيسة .

– فلا بد للقارىء بالتالي من هذا الموقف بالضبط ، موقف تطلع

والتماس للحياة الروحية الشاملة التي تنبع من الكتاب فتحيي حياة المؤمن والكنيسة ، إن أراد أن يستفيد من هذه الصفحات فتثمر فيه .

– إن هذه الصفحات لا تخلو من نقص ولا شك ، وبالامكان كتابة أفضل منها بكثير ، ولكننا اذا نشرناها انما ننشرها كشهادة ، آملين ان تساهم في تغذية الحياة الروحية في كنيستنا الانطاكية المقدسة وتلبي حاجة عند الشباب وعند من يريد عامة أن يعيش حياته مع الله .

توطئة

غاية هذه الصفحات

غاية هذه الصفحات محاولة الدخول إلى روح الكتاب المقدس : إن ما يهمنا بالدرجة الأولى هي روحانية الكتاب وتطبيقها في حياتنـــا . لذا فلـن نبحث مثلاً في أسفار الكتاب وعددها ونوعها الأدبي وتاريخ تأليفها ومصادرها المختلفـة الخ ... بل سنقتصر على تعريف الكتـــاب واستعراض محتواه قدر الامكان .

ومن المفيد أن نذكر قبل البدء ببحثنا ان الروحانية الكتابية تكمل بروحانيات أخرى وتكملهـا : الروحانيـة الليتورجيـــة الآبائية .. أعني وجه الحياه الروحانية المعبر عنه بالليتورجيا أو بالآباء والقديسين . ليس أن هناك ثلاث روحانيات مختلفة منفصلة عن بعضها البعض ، فللمسيحي حياة روحية واحدة : هي الاتحاد

بالله يسوع المسيح في الروح القدس ، وكل ما يساهم في البلوغ إلى هذا الاتحاد هو من مقومات الروحانية الواحدة . ولكن الرب أعطانا عدة وسائل بل قل عدة ينابيع من النعمة والقوة والنور لتحملنا اليه . وهذه الينابيع نجدها ، إما في الكتاب المقدس إذ انه كلمة الله عينها مكتوبة ، أو في الليتورجيا ، اذ فيها الاسرار المقدسة تفيض الروح القدس للعالم ولنفوس المسيحيين [1] ، أو في القديسين اذ أنهم اتحدوا و « توشحوا » بالله فامتلأوا من روح القداسة أي من الروح القدس بالضبط وهم يعكسونه لنا في تعاليمهم وتقاليدهم الحية [2] .

---

(١) انظر كراس « من أجل فهم الليتورجيا وعيشها » منشورات النور عام ١٩٦٣ .

(٢) زيادة في الايضاح نقول : لا يخفى أن سر الله اعلن لنا تدريجياً : الآب اولاً في العهد القديم حيث الابن كان محجوباً والروح القدس غير معطى . ثم تجسد الابن : ولكن الذين كانوا قد عرفوا الآب لم يعرفوا جميعهم الابن ، وبالابن وحده أتى الروح إلى العالم . وفي الأخير اعطي الروح ... ولكن الروح هو الاقرب الينا إذا جاز القول لأنه أول من يقتبلنا في صعودنا إلى الله لأن صعودنا هو بالروح القدس . فالروح هو الذي يصرخ فينا : « يا ابا الآب » و « لا أحد يستطيع أن يقول يسوع المسيح رب الا بالروح » ، والروح هو الذي « يعلمنا كل شيء » ... ان الروح القدس خفي للغاية لا يعلن مباشرة . الآب يعلنه الابن ، والابن يعلنه الروح ، اما الروح فلا يعلنه احد بل يعلن في نفوس المسيحيين الذين يعكسونه . ولكن المسيحيين الذين عرفوا الآب والابن واخذوا الروح القدس الكثيرون منهم لا يعكسونه : لا يدعونه

إن هناك بالتالي روحاً واحداً يهب في كل مكان ويجتاح العالم انطلاقاً من بعض الوسائل – المصادر أهمها مـا ذكرنا . وهـذا الروح الواحد ، هذه الحياة الروحية والاتحاد بالله هي التي نبتغيها من دراسة الكتاب .

يلأم كلياً ، لا يعيشون « روحيـاً » . إن الذين يعيشون حيـاة تشهد للثالوث القدوس ، آب وابن وروح قدس ، الذين يذهبون الى النهاية في سر الله هم الذين يعيشون حياة روحية .

البابُ الأول

بعض الايضاحات عن الكتاب

الفصل الأول

ما هو الكتاب

نبدأ ببعض الايضاحات العامة عن الكتاب المقدس نقترب بواسطتها اليـــه . الايضاح الأول يتناول تعريفه : ما هو الكتاب ؟

لنقلها ببساطة وقوة : الكتاب كتاب « غريب » : ليس هو أعظم الكتب ولا أعمقها ولا أكثرها حكمة ، بل هــو ذلك الشيء الاخر المختلف عن كافـة الكتب البشرية : هو الكتاب الذي يقودنا الى ما بعـد الكلام البشري ليدخلنا مباشرة الى كلام الله ، الى سر الله . ان كل ميزات الكتاب المقدس وصفاته ناتجة عن صفته الرئيسة هذه : الكتاب غير سائر كتب الناس .

إن المرء أمام هـذا الكتاب يحس بنفسه منجذباً ومتحيراً في آن واحد : منجذباً وكيف لا وهذا شيء « آخر » من غير

هذا العالم . ومتحيراً لأننا لا نستطيع أن نصل اليه كيف ما كان : إنه يتجاوز جوهرياً إمكانات الانسان الطبيعية فلا يستطيع الانسان أن يقترب منه كما يقترب من بقيـة الكتب . إذا أردنا قراءة كتاب ما فلا بد لنـا أولاً من الاستعداد لأجل فهمه : من أجل أن اقرأ يجب ان أتعلم القراءة اولاً . من أجل أن اقرأ وأفهم كتابـاً في الطب أو في الرياضيات يجب أن ادرس الطب او الرياضيات . وكذلك من أجل قراءة كتاب الله علي أن أصير نوعاً مـا ، الله . وإلا يبقى الكتاب المقدس مغلقـاً دوني وأنا مغلقاً دونه ، فلا أفهمه على حسب ما أراده مؤلفه ، بل قد يبلبلني أحياناً . إن كل الصعوبات التي نلاقيها في فهم الكتاب ناتجة عن هـذا الأمر الاساسي : ضرورة تجاوزنا لأنفسنا عنـد قراءة الكتاب . ويساعدنا على تحقيق هذا التجاوز الروح القدس الذي نلناه بالمعمودية . إنه الروح نفسه الذي أوحى الكتاب . وبهذا الروح عينه سنرى ما هو الكتاب :

اولا : الكتاب كلام الله في الاساس وهـذا هو الشيء الأكثر جوهراً . الكتاب هو كلام الله يعلن لنا سره وأعماله ومقاصده . بل هو الله نفسه ، يعلن لنا عن ذاته . غير ان اعلان الله هذا المتكيف مع طريقة فهمنـا يدعى كلام الله . ان الانسان يفهم بواسطة الكلام . انه يستعمل الكلام حتى عندما يفكر في داخله . وهو لا يبلـغ إلى الآخرين إلا بالكلام . ولذلك فبالكلام يأتي الينا الله .

ثانياً : الكتاب تاريخ البشرية المقدس يعلـن لنـا بدءهـا ومصيرها ونهايتها : إنه تاريخ الخلاص . في الفقرة السابقة دللنا

على الوجه الالهي الذي للكتاب ، أما الآن فعلى الوجه البشري ، على الكتاب كوثيقة انسانية تهم الانسان في صميمه أكثر من أي شيء آخر . لأن الانسانية عبر هذا التاريخ المقدس تعرف ذاتها ومبدأها وغايتها . انـه تاريخ أي أنه يشمل سير البشرية كلها وفي كل زمان . لا يسجل احداثاً محلية وحسب بل كل ما هو مسجل فيه يتعلق بحال ما بكل الناس في كل مكان وفي كل زمان . اننا نقرأ في سفر التكوين « في البدء خلق الله السماوات والأرض » (تكوين ١:١) ، ونقرأ في سفر الرؤيا : « رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والارض الأولى قد مضتا » (رؤ ٢١ : ١) . فالكتاب يتكلم عن كل ما هو منظور وما هو غير منظور . في البـدء يروي لنا بـدء الخليقة وفي الاخير نهايتها وظهور الارض الجديدة والسماء الجديدة : كل شيء مشمول بين هاتين الآيتين .

ثالثاً : **الكتاب مكان لقاء واتحاد بين الخالق والمخلوق** وهذا مهم كثيراً : مغزاه ان للكتاب معنى داخلياً ، وأنـه بالتالي يتعلق فيّ مباشرة . ليس هو تاريخ البشرية كله وحسب بل تاريخ كل نفس ، شخصياً ، منذ ولادتها حتى اتحادها بالله . هـذا هو وجه الحياة الشخصية الروحية الصميمة في الكتاب . فعلينا إذن قراءة الكتاب بـل تأمـله كمرآة ، مرآة كل نفس وكل خليقة . يجب أن نقرأه بهذا الوعي ليس فقط بوصفـه كلام الله نطق به قديماً أو بوصفه تاريـخ من سمعوه آنذاك ، بـل بوعي آني وداخلي : انـه سري أنا ، ارادة الله بشأني أنا ، على ان اكتشف نفسي في الكتاب . هذا جهاد صعب ولكنه مثمر . أنا لست اعرف نفسي ، لست متأكـداً من ارادة الله

نحوي ، فالكتاب في هذا المضمار ينبوع وينبوع لا يخطىء ، انه يتيح لي الحوار مع الله الخالق والاتحاد به .

والآن سنعود الى النقاط الثلاث اعلاه لنشرحها باكثر تفصيل .

اولاً : الكتاب كلام الله

هذا يعني اولاً ان الله يتكلم أي انه يبادر : هو يبدأ فيتكلم فعليّ إذن ان اسمع وأطيع .

ويعني بالتالي ان الله إله حي وهـذه نقطة مهمة : إن الانسان بالخطيئة الجدية لم يفقد إيمانه بالله بل – وهـذا اكثر خطراً – شوه الله وقتله . أصبح هو الله كما اوحت اليه الحية فخلق هو الله على صورته ومثاله . نحن لا نعي ذلك ولكن الله وعاه اولاً فأعلنه لنا في الكتاب : ان الانسان « خلق » الله بواسطة مواد الأرض في المنحوتات والأصنام ، ثم خلقه بالعقل والذكاء فكلما ارتقى العقل صنع لنفسه إلهاً أرقى وأجمل : الفكر ، الجمال ، العلم ، الخير ... ولكن هذا خطأ . هذه أيضاً تصبح اصناماً . انها الآلهة الكاذبة التي يتكلم عنها الكتاب ، ولكن « سيف الله » يبيدها (انظر سفر الرؤيا ١٧) . فمقابل الآلهة الكاذبة نجد الاله الحي . الله يتكلم : الى الآن كان كل منا يصنع إلهه ، إلهه المائت الذي يظهر كلا منا نحن . إله السياسة مثلاً أو فكرة التقدم البشري ، او المال ، اننا نحب ذواتنا فيها ، نحب فكرتنا .. أنا اتكلم في الحقيقة عندما يتكلم

إلهي .. أما كون الكتاب كلام الله فهذا شيء جديد غريب إلى أبعد حد ، شيء عظيم حقاً : لأول مرة في التاريخ منذ الخطيئة الأولى تظهر مبادرة الله فنعلم أنه لا يقاس بأي شيء آخر وأنه الأول والمطلق .

وهذا يعني ايضاً ان الله يعلن ذاته حين يتكلم : عندما نتكلم نحن نعلن عن ذواتنا الى حد ما ، الى حد بسيط جداً . ان القديسين في أوج قداستهم فقط يعلنون احياناً عن ذواتهم بكلامهم ولكن الكلام البشري عاجز عن ذلك عادة . أما كلام الله فيعلن الله . ولذا نستطيع الاقتراب اليه دون خطر الضلال أو الخديعة .

ثم عندما يتكلم الله فكلامه قوة : ان كلام الانسان أيضاً قوة . اني بقوة كلامي أجبر فلانا على تبني فكرة أو اتيان عمل . أما كلام الله فيفعل : انه لا يحرك الذهن فقط بل كل الكيان البشري بل الخليقة كلها أحياناً . الخليقة خلقت بتلك الكلمة نفسها فعند تردادها كل ما خلق يرتج ويتأثر .

ثم إن كلام الله يفعل . لا يفعل عشوائيا بل في توجيه نحو غاية . والغاية هي الكلمة ذاتها . إنها تحرك السامعين نحو ذاتها ، نحو الله . إذن الله يتكلم فيفعل ويوجه ويقود اليه .

ماذا يعني أيضاً ان الكتاب كلام الله ؟

افتح الكتاب فأرى الاحرف المكتوبة على الورق . فأين كلام الله وكيف ينبغي أن أفهم ذلك ؟ عندما نقول أن كتاباً

هو كلام شخص ما نعنيه هو ان هذا الشخص كتبه ، ألّفه . وهذا يعني أنه صوّره أولاً في داخله ، كان عنده شيء يقوله ثم قاله في أحرف الكتاب فأصبح الكتاب يمثله . فكيف الله هو مؤلف الكتاب ؟ الكتاب كتاب موسى ويشوع ومرقص وغيرهم . ولكن مع ذلك فالله هو المؤلف ، هو الذي يوحي : عندي افكار ومشاعر وإرادة فأعبر عنها عندما اتكلم ، اعبر عن أعماق نفسي . ولكن الله حينما يتكلم في الكتاب يضع في « أداته » أفكاره هو وارادته هو .

هذا عميق لأنه يدل على ان الانسان يستطيع الاتصال بالله . الله ينحني نحو الانسان ليكتب كتابه . وأول درس نأخذه من ذلك هو ان الانسان يستطيع ان يكون إناء لله ان يشترك مع الله ويسمع شيئاً منه .

ان الانسان الذي يقتبل وحي الله يكتبه . ولكن الانسان ليس أداة مائتة كالقلم بل شخص حي . الانسان كائن مفكر حر . وبالتالي فهو ينقل وحي الله بكلامه هو وطريقته واستطاعته . كلام الله هو وحي الله حقاً ولكنه يمر عبر الانسان ويتحد بكلامه . إذن أنا اقرأ في الكتاب كلاماً كتبه انسان ولكن عليّ أن ادخل الى حيث الله حاضر في كلام مختاره .

ان البعض يظنون انهم يكرمون الكتاب بقولهم ان كل كلمة فيه هي من الله . ان تكريم الحرف نوع من الصنمية . الحرف ضد الروح . الايقونة مثلاً خشبة والقديس انسان والانجيل احرف ولكننا عندما نكرم الايقونة والقديس والانجيل

لا نكرم مادة الايقونة او شخص القديس او حرف الانجيل ، وإنما حضرة الله المخفية والمعلنة في آن واحد في كل من الايقونة والقديس والانجيـل . ان حرف الكتاب من « ظهورات » الله يتراءى الله بواسطته ، انه علامـة للمؤمن تـدل على حضور إلهي من خـلال كلام الانسان . لا تنزع من الكاتب حريتـه كإنسان مفكر ولكنها تعطي له قوة وامـكانية للتعبير عن كلام الله بكلامه البشري . وفي الحقيقة علينا كلنا ان نصبح ككلام الكتاب كلاماً انسانياً وإلهياً معـاً : على ظروف الانسان ان تصير مكاناً لحضرة الله وفعله . فان كلام الله سر تنازل دائمـاً « يؤالف الانسان مـع الله والله مع الانسان » على حد قول القديس ايريناوس .

ثانياً : الكتاب تاريخ البشرية المقدس

هناك معنى آخر لكلام الله يدخلنا الى الوجه الثاني الذي للكتاب وهو أنه تاريخ البشرية : عندما يتكلم الله لا يعلن فقط عن ذاته بل ايضاً وفي آن واحد ينادي ويدعو ، يطلبه ويوجد جواباً من الانسان : كلام الله لا يبقى باطلاً دون جواب لأنة خلاق بحد ذاته . الله يتـكلم فيخلق لأنه كيان في ذاتـــه وينبوع كل وجود ، وكلمة الله الأولى كانت بالضبط كلمة خلق : « في البدء خلـق الله السماوات والأرض .. قال الله ليكن نور فكان نور ... » (تكوين ١ : ١ ومـا بعده) . غير انها كانت خليقة مادية أول الأمر ، في حين ان كلام الله يحتاج إلى جواب . فإنه إنما يتكلم محركاً بدافع المحبة : يريد أن يوجد أحـــداً يقبله ويجاوبه ، أحداً يستطيع ان يقبل محبته . إن المحبة المتجهة

نحو ذاتها ليست بمحبة بل هي افظع تحريف لها . ان المحبة تخرج من ذاتها باحثة عن جواب . المرء ان اعطى ينال غنى ونوراً وفرحا . ان الجواب الأول لكلام الله كان خلق الكون والبهائم الخ .. كما رأينا ، ولكنه لم يكن كافياً . فخلق الانسان على صورته ومثاله : المحبة تلتمس المحبة . الانسان قادر على اعطاء جواب حر لكلام الله .

ولكن هذا الجواب الحر قد اعطاه آدم ضد المحبة . لقد فكر آدم في ذاته لا في كلام الله ، لم يطع الله بل وجه المحبة والطاعة الى نفسه ، الى كيانه المخلوق .. فسقط . ومنذ سقوط آدام كلام الله لا يزال ينادي الانسان . انه يوجد دائماً جواباً ولكن الجواب ليس دائماً إيجابياً ، بل هو في الغالب جواب سلبي أو رفض ، أو صعوبة في الطاعة رغم رغبة المرء في الطاعة . ذلك لأن الانسان منذ ظهور الخطيئة لم يعد يعرف الاصغاء الى كلام الله . إذ ينبغي لكلام الله ان يدخل عميقاً إلى قلب الانسان المتحجر . « ان قلوبكم من حجر » يقول كتاب العهد القديم ، والكلام لا يدخل الحجر . ولكن كلام الله بالرغم من ذلك قادر أن يشق الصخر : كل هذا يعني ان الكتاب حوار مفجع ، تقابل مأسوي ، بين أرادتين متناقضتين . كل التاريخ المقدس ليس سوى هذه المعركة بين محبة الله للانسان وجواب الانسان المنغلق على نفسه والمتمرّد على الله في اكثر الاحيان ..

ولكن هذه المعركة تنتهي وتنفرج عندما يقوم انسان ويجيب الله قائلاً : « هأنذا أمة للرب فليكن لي حسب قولك » فيأتي حينئذ من يقول : « لم آت لاصنع مشيئتي بل مشيئه الذي ارسلني » . ان الحوار المأسوي ينتهي وينفرج بشكل صليب

أي ان الاتجاهين المضادين كلياً (العمودي والافقي) يلتقيان في صليب عندما يتخذ الخلاف ويتبناه واحد تتفق فيه الارادتان وتتحدان حتى موت الصليب . ان نصيب الانسان وواجبه ان يجيب فقط لكلام الله . ولكن الانسان قبل يسوع لا يجيب الله بشكل كلي مطلق . حتى الرجال المختارين خصيصاً من الله لإعلان كلمته ، اعني الأنبياء ، لا يجيبونه كليا : انهم يخضعون له ولكن بالرغم عنهم وهم متألمون ، اننا نعرف قصة يونان النبي .. أما أرميا فنراه يقول : « قد خدعتني يا رب فانخدعت ، الححت علي فغلبت .. صار لي كلام الرب عاراً وسخرة كل النهار فقلت لا أذكره ولا اتكلم بأسمه من بعد لكنه كان في قلبي مثل نار آكلة قد حبست في عظامي فجهدني امساكه ولم اقدر على ذلك » (ارميا ٢٠ : ٧ – ٩) . وكذلك ابراهيم الخ .. كلهم كانوا بمثابة رسم سابق للذي امتثل وحده لله واتحد به كلياً . فابراهيم لم يدخل ارض الميعاد انما دفن فيها فقط . وموسى أيضاً لم يدخل ارض فلسطين وبقيت عظامه في البرية . وداود الملك لم يعط أن يبني بيت الرب ... ان واحد فقط ، بالطاعة الكلية بالجواب الكلي ، يدخل ملكوت السماوات بموته وقيامته .

ثالثاً – الكتاب مكان لقاء واتحاد بين الخالق والمخلوق

في الكتاب المقدس أخيراً سر لقاء داخلي مع الله : لا على صعيد الشعب المختار فحسب بل على صعيد القلب الشخصي ، أي ان كل واحد منا يجد فيه حياة جديدة . وإلا يكون بالنسبة لنا كلاماً غير مكمل وغير منته ، كلاماً لا يبلغ الى

غايته . فعلينا بالتالي أن نحيا في حياتنا الشخصية هذا السر ، سر اللقاء بين كلمة الله وبيننا نحن . علينا أن نكون ابراهيم وموسى وداود وإيليا والأنبياء .. حتى نتوصل فنستطيع بنعمة الله ان نقول مع بولس الرسول : « لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيّ ». داخلياً ، علينا ان نسير ونسلك مجدداً الطريق التي يعلنها لنا كلام الله في الكتاب . إذا تأملنا مثلاً مصير اسرائيل في الكتاب نجد انه لم يقتبل كلام الله حتى النهاية . لقد تجسد الكلمة وفتح ملكوت السماوات ولكن اسرائيل لم يعرفه ، فقد آثر محبة ذاته ، آثر خيراً أرضياً . وهذا الأمر بالذات يتكرر معنا عندما يفتقدنا الله بنعمته . لقد خلقنا على صورته ومثاله ودعانا ووهبنا المعمودية والكنيسة . فعلينا ان نتجنب الظن ان هذا كله انما هو من حقنا ، كما فعل اسرائيل ، فنتوقف في الطريق . علينا أن نتضع دائماً أمامنا نعم الله وعطاياه . وعندئذ فقط عطاياه تجعلنا نماثله . والا فتتوقف العطية ولا تعبر من خلالنا نحوه ، لا تعود تقودنا اليه . ينبغي بالتالي ان نحتفظ خلالنا نحوه ، لا تعود تقودنا اليه ، ينبغي بالتالي ان نتحفظ دائماً ، أن نعتبر ذواتنا دائماً في الطريق ، سائرين ثم سائرين ، الى اليوم الذي نكون فيه مع يسوع عن يمين الآب .

الفصل الثاني

اين نجد الكتاب

الايضـاح الثاني يتناول « مكان » الكتاب . أين نجده ؟ أين نفتش عن معناه ونفهمه ؟

الجواب المباشر لهذا السؤال هو أن نفتح التوراة ونقرأهـا ونفهمها . هذا غير صحيح : اننا عند ذلـك نفهم الكتاب كلغة بشرية ولكن مثل هـذه القراءة لا تكفي . فكلام الله أوسع ويتطلّب اكثر من الفهم البشري . وإلا فأنا افهم ولكني لا أفهم كل شيء . أفهم الكتاب كأيّ كتاب آخر وبـــذا انكر كلام الله بدلاً من أن اؤكـده . إن كلام الله هـو الله نفسه يعلن عن ذاته من خلال الاصوات والظروف المختلفة . فكلام الله في الكتاب له اسم : هو يسوع المسيح في النهاية . إن كلام الله في الكتاب المقدس انما هو طريق وتاريخ يقود إلى مكان ما . فالى أين إن لم يكن إلى الله ؟ انهـــا المحبة

تدعو المحبة ، الله يريدنا له ويدعونا اليه فغاية كلمة الله منذ بدء البشرية هي بالتالي الكلمة نفسها ولكن معلنة بصورة كاملة ، بصورة بشرية جداً : الكلمة المتجسد يسوع المسيح . إن المسيح هو الذي يتكلم في التوراة ، والا تبقى التوراة غير منتهية ، لا تقول الكلمة الأخيرة والقول الفصل . إذن نحن نجد الكتاب ونفهمه إذا ما فتشنا عنه في المسيح .

إن العهد القديم بكامله تتخلله صرختان : « أرني وجهك .. » « قل لي ما أسمك » . كل العهد القديم بمثابة مدرسة تربوية لقبول الكلمة المتجسد ، للانتقال من الله الذي يتكلم إلى الله الذي يظهر في الجسد . في المعركة القائمة بين الارادتين ، ارادة السماء وارادة الارض . الطاعة لكلام الله تعني قبوله وقبوله يعني التعطش إلى قبوله حق النهاية . إن لسان حال يوحنا الرسول يقول : كنا سابقاً نسمع الكلمة ولكن عندما نزل وظهر كانت مثل خليقة جديدة . الخلق الأول كان خلق الخليفة أما الآن بنزول الكلمة فانها الخليفة الجديدة ، الاتحاد الكلي . إننا بالكلام نأخذ شيئاً من الآخر . ولكنني إن كنت أحبه أريد أن اناله كله . هذا سر المحبة . أنا لا أريده مختلفاً عني ، أريد أن اكون مثله ، لا احتمل أن يكون غير ما أنا . ولذلك فقد أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد من أجل خلاص العالم . لقد بذله كلياً ، ولم تكن الكلمة المقولة سوى تحضير لمجيء الله بالجسد ، سوى أعدادنا لتقبل كلمة الله . قبل المسيح لم يكن الله والأنسان يستطيعان أن يتعايشا . « ليتك تشق السموات وتنزل لكانت

الجبال تسيل من وجهك » (اشعيا ٦٤ : ١) . كان الأمر يدعو لليأس : يستحيل على الانسان الاتحاد بالله اتحاداً كاملاً . وهذا مؤلم للانسان المحب . ولكن غاية التربية الالهية للبشر كانت بالضبط الاتاحة لكلمة الله أن تصبح منظورة دون أن تهلك الجسد البشري . وقد تم هذا عندما وجد كائن بشري استطاع الاستجابة لحب الله الكامل .

وعندما نزل الكلمة إلى هذا العمق كان خلق اكثر كمالاً من الخلق الأول ، كان آدم الجديـــد الاكمل من الأول . عند تجسد الكلمة ظهرت معه خليقة جديدة وبشرية جديدة اسمها جسده ، اعني الكنيسة . إن الكنيسة جسد آدم الجديـــد حقاً كما أن العهد القديم كان ظلاً ورسما له . وعند ذاك اضحت كلمة الله تعطى بشكل جديد وبطريقة جديـــدة . فكلمة الله التي كانت في التوراة مقولة هي الآن في المسيح معطاة تماماً . ولهذا السبب نحن لا نستطيع فهم الكتاب دون المرور بالمسيح . خارج المسيح وتجسده وكنيسته كلام الله ليس واضحاً ، ليس معطى ، ليس معلناً . لكي نفهم الكتاب لا بد لنا من التماسه لدى المسيح . لأن لنا الآن إنجـاز الكلمة وكمال الكتاب . لنا اكثر من الكتاب . لنا كل ما وعد بـه الكتاب . فاليه إذن يجب الذهـاب اولاً وذلـك بالكنيسة ، الخليقة الجديدة ، بالاسرار والقديسين والتقليد .. إن كلام الله الذي نفتش عنه خارج الكنيسة هو بمثابة كلام يأبى أن ينجز ويتمم ، إنه لا يقول كل الحقيقة . إن الكتاب في الواقع إنما يحوي مـا حققه الكلمة المتجسد . في الكتاب وقائـع

وحوادث . إنه لا يروي عقيدة ومذهباً بل حوادث . وهذه الحوادث كلها تبلغ إلى الحادث الوحيد الذي يعطي ذلك التاريخ معناه : أعني تجسد الله . وبالتجسد يستنير الكتاب ويعطى كلياً ويكشف للناس .

قانون الكتاب : هناك « قانون » يعيّن أسفار الكتاب المقدس . وهذا يعني أن هناك دائماً كتباً تتكلم باسم الله وكتباً تتكلم باسم الناس ، كتباً اصلية وكتباً غير اصلية . من قرر تحديد الاسفار الالهية ووضع المقياس أو « قانون » الكتاب (باليونانية « القصبة » اداة القياس وكانت تعني أيضاً الحقيقة المقاسة) ؟ إن من حدد حقيقة الكتاب المقدس وكونه كتاباً الهيا مميزاً عن الكتب التقوية البشرية هي الكنيسة أي الروح القدس الذي أعطي بعد تمجيد الكلمة ، الروح الذي يوحي للكنيسة ذلك التمييز بين ما هو من الله وما هو من الانسان ، وهو الروح نفسه الذي تكلم بالانبياء .

حتى العام ٢٠٠ تقريباً كان هناك تردد في تعيين الاسفار المقدسة . كانت اسفار عديدة كتبها ليس فقط انبياء كذبة بل اناس حسنو النية لكنهم يتكلمون بروحهم الشخصي لا بالروح القدس ، يكتبون من تلقاء انفسهم (رسالة برنابا مثلاً ، عندما نقرأها نرى فوراً الفرق بينها وبين الاسفار الملهمة) . هذه الاسفار تدعى « الابوكريفا » .

وحوالي العام ٢٠٠ تحدد قانون الكتاب باقرار الكنيسة وقبولها عامة . وإلى جانب الاسفار المقدسة هناك ما يسمّى

باسفار « التلاوة » وهي اسفار يهوديت وطوبيا والمكابيين وحكمة سليمان وحكمة ابن سيراخ وباروخ وبعض مقاطع سفر دانيال عن الفتيان الثلاثة وسوسنا العفيفة . إنها كتب تقية ترتبط بالتاريخ المقدس ولكنها لا تعد كلام الله .

نعود فنقول أن الكتاب المقدس غير منفصل ابدا عن كامل سر الكلمة وتدبيره . هذا التدبير قمته في التجسد وهو يكمل في الليتورجيا والكنيسة . الكنيسة الارثوذكسية ترى الكتاب وتجده وتربطه في كامل سر كلام الله . في القداس الالهي مثلاً إن الدخول بالانجيل (الدورة الصغيرة) يمثل كلام الله نازلا الى العالم ، والمؤمنون حوله هم بالضبط كمؤمني الجليل الملتفين حول يسوع ، نحن الآن في قلب سر الكلمة وصميمه فيجب أن لا نعود إلى وضع العهد القديم ، أن لا نقرأ الكتاب كما كان يقرأ في العهد القديم قبل مجيء الرب يسوع . إذا أتى أخي من اميركا فإنني اترك صورته الشمسية واذهب اليه . الصورة تبقى ولا شك ولكن الشخص بات حاضراً يجب أن لا نفصل بين الكلمة المكتوبة والكلمة المتجسد كأن الرب لم يأت بالجسد ولم يعلن عن نفسه بشكل اوضح من الكتاب . عندما اقرأ الكلمة المكتوبة يجب أن تتجسد فيّ . وعندما اتحد بالمسيح بالاسرار الكنسية والروح انها الكلمة عينها المطبوعة فيّ المعمودية . هذه الظهورات المختلفة للكلمة تكمل بعضها بعضاً إن « الملء » عند بولس الرسول ، ملء الله ، هو في المسيح يسوع . كلام العهد القديم أقل حقيقة من الكلمة لأنه غير مكمل . ثم ان الكتاب المقدس في الحقيقة بمثابة ليتورجيا وهذا لا ينقص من قيمته لأن الليتوجيا تعرض لنا سرّ المسيح نفسه : تجسده ، صلبه ، قيامته ، واشتراكنا به بالمناولة .

فالكتاب يروي لنا تاريخاً هو تاريخ « اترجمة » العالم ، الى ان ينتهي بالليتورجيا السماوية التي يكشفها لنــــا سفر الرؤيا . ان الكتاب المقدس مفتوح لنـا أكثر شيء في الليتورجيا . إننـا نستعرض كل الكتاب خلال السنة الليتورجية . في الليتورجيا يصبح الكتاب واضحاً . فان قلنا ليس إلا الكتاب فليس بعد من كتاب ، إذ ما هو الكتاب خارج المسيح ، وخارج الروح والليتورجيا ؟

الفصل الثالث

كيف يجب ان يقرأ الكتاب

اولاً : هدفنا من قراءة الكتاب : ما دامت قراءة الكتاب قراءة فالهدف المباشر لها هو :

١ – الاطلاع على كلام الله والاتصال به من أجل معرفته وتعلمه .

٢ – ككل قراءة جدية الانتباه إلى ما أقرأه ومحاولة فهمه بالعقل والدخول الى معناه ولكن هذا غير كاف مطلقاً .

٣– وهنا يبدأ الهدف الحقيقي لمطالعة الكتاب : تمثيل الكلام ، دخولنا فيه ودخوله فينا . ان قراءة الكتاب تتسامى هنا على كافة القراءات الأخرى حتى التقوية منها . فإننا بمطالعة الكتاب ندخل في عملية اتحاد وشركة مع كلام الله الحي . نستنتج من ذلك نتائج ثلاث :

أن قراءة الكتـــاب هي اولاً بمثابـة **فعل مناولة** .

هذه المناولة تختلف عن سر مناولة جسد الرب ودمه ولكنها مناولة الكلمـــة نفسه تحت شكل آخر : عن طريق الحواس الخارجية ثم العقل . ولكنها مناولة . انها « شبه سر » ، يتطلب منا موقفاً داخلياً هو موقف ايمان وخشوع وانتظار . ثم تقوم علاقة حية بينـنـا وبين كلام الله ، فيديننا الكلام . عادة نحن نحكم على ما نقرأ ، أما في قراءة الكتاب المقدس فكلام الله هو الذي يحكم علينا : إنه يوبخنا أو يدعونا ، يعزينا أو يشددنا ، يأسرنا أو يرذلنا أحياناً . انه كلام حي . ولذا فاني أنا أرى نفسي في الكتاب . أرى نفسي كما يريدني الله أن أكون وليس حسبما أنا في خطاياي وضعفاتي : انها قراءة فريدة غريبـة . ثم بعد القراءة المباشرة الخارجية يجب ان نتابع هــذه القراءة ونمدها في تمثل داخلي صميمي كثيراً ما لا نعيه . كلنا نعرف مقطع انجيل متى حيث يردّ الرب يسوع على ابليس قائلاً ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . ان كلام الله هو إذن طعام . الطعام لا يقوتنا ويغذينا إلا إذا تناولناه ومضغناه وهضمناه ، وهكذا هو الأمر بالنسبـــة لكلام الله . نتناوله أولاً ثم نمضغه ، ندعه يدخل فينا ، ثم نهضمه اي نبقى مدة معينة مع الكلام الذي تناولناه غير ناسين إياه . في هذا التمثيل يقوم المعنى الحقيقي لقراءة الكتاب وإلا يبقى لنا كلاماً عقيماً لا كلام حياة .

ثانياً : كيف نأتي الى قراءة الكتاب : يجب أن نكون في موقف صلاة اثناء قراءتنا للكتاب . ولهذه الغاية فلننقل صلاة صغيرة قبـــل المباشرة بالقراءة . ان القديس اسحق السرياني يوصي بالصلاة التالية : « يا رب أهلني أن اشعر بقوة كتابك » .

والصلاة التي يقولها الكاهن سراً قبل تلاوته للفصل الانجيلي في القداس الالهي تحتوي على الموقف اللازم تمـــاماً : « أشرق في قلوبنا النور الصافي نور معرفتك الالهية وافتح عيني ذهننا لنفهم تعاليم انجيلك ، ضع فينا خشية وصاياك المغبوطة حتى إذا وطئنا كل الشهوات الجسدية نسلك سلوكاً روحياً فنفتكر بكل مــــا يرضيك ونعمله لأنك أنت استنارة نفوسنـــا وأجسادنا ... » . ينبغي أن تكون فينا رغبة لارضاء الرب فقط وإلا لا تنزل الكلمة إلى قلوبنا . ثم يجب مواصلة موقف الصلاة اثناء القراءة أيضاً ، وأخيراً انهاء القراءة بصلاة شكر .

ثالثاً : القراءة المتواترة : لن ننتهي أبداً من قراءة الكتاب . انه في كل مرحلة من مراحل حياتنا يعطينا معنى جديداً . لأن الكلمة نفسها التي تعمل فينا بواسطة الاسرار الكنسية أو بالطاعة لوصايا الرب تجعلنا بعـد كل قراءة حساسين لزيارة جديدة من الرب . ولذا يجب في كل مرة أن نطلب اقتبال معنى جديد لكلام الله : وجه جديد ، قياس آخر للسر يخرق نفوسنا بنعمة جديدة ، بفرح جديد او ندامة جديدة . يجب أن نطلب ان يكون لنا كلاماً حياً يجدد نفوسنا كما جدد شعب اسرائيل في كل مرحلة من مراحـــل تاريخـه . ان مراحل تاريخ بني اسرائيل هي رسم لمراحل حياة الكنيسة وحياة النفس معاً ، فلا يكفي اتصال واحد لاقامة النفس في الله . إن موسى كليم الله قد كسر لوحتي الوصايا ثم صنعها من جديد . فعلينا أن نعيد الكرة دائماً من جديد . جيل يذهب فيعقبه جيل آخر : ان فينا انساناً عتيقاً يجب ان يزول . أربعين عاماً نقضيها في البرية (العدد ٤٠ رمز للنسك والتوبة) ثم ندخل أرض الميعاد :

انه جيل جديد أي افكار جديدة افضل من الأولى وبعد المعارك الكثيرة يأتي الاستقرار : عهد داود حبيب الرب وعهد سليمان . انه السلام يأتي الى نفوسنا في مرحلة افضل . ولكن سليمان انحرف الى جواريه : فتداهمنا التجارب ونفقد السلام . ثم يأتي الانبياء ويوبخوننا مؤنبين ، لكنهم يقولون لنا أيضاً ان الله لا يغير مواعيده . أخيراً « البقية » الصغيرة ترث الملكوت ولكنه ليس ملكوتاً أرضياً . ان الله المتجسد هو عبد آلام . وهكذا فان ما حدث في التاريخ المقدس يحدث معنا حقيقة . بهذا الموقف وهذا الاستعداد يجب أن نقرأ الكتاب . انه اهتداء متواصل على ضوء الكتاب أعني تجديد الذهن باستمرار : « جددوا أذهانكم » (رو ١٢ : ٢).

الفصل الرابع

كيف نفهم الكتاب

لكي نصل إلى فهم الكتاب فهماً روحياً أي كاملاً لا منطقياً بالعقل فقط هناك مبادىء أساسية ثلاثة :

اولا : تفسير الكتاب بالكتاب

المبدأ الأول هو قراءة الكتاب على الدوام لنبلغ الى تفسير الكتاب بالكتاب كما يقول الآباء إننا بالقراءة المتواصلة نكتشف تركيب الكتاب الداخلي الذي انما هو قصد الله وتدبيره ، نكتشف الخط العام الذي يربط عميقاً بين أجزاء الكتاب مهما كانت متباعدة في الظاهر . إن الكتاب كله تتخلله داخلياً تيارات من السر الالهي توجهنا إلى نقطة واحدة تكمل فيها كل الاسفار ، وهذه النقطة ليست إلا المسيح بالذات . بدون المسيح يبقى الكتاب غير كامل يبقى ناقصاً وبدون معنى . لقد قال الرب في انجيل يوحنا « إن الكتب

تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا اليّ لتكون لكم الحياة » (يو ٥ : ٣٩ — ٤٠) . فالمفسر الأول والاعظم للكتاب هو المسيح نفسه . إنه يعلن ذلك للجميع : أنا نفسي مفتاح الكتاب والاسفار تشهد لي فيجب بالتالى قبل كل شيء أن نعرف كيف نربط كل شيء بالمسيح ، وأن العهد الجديد مخفي في القديم ، والعهد القديم معلن في الجديد على حد قول الآباء أن كل ما جرى في العهد القديم حقيقي هو ولكنه كان ظلا لشيء آخر سوف يأتي ، ظلا يبشر مسبقاً بالجسم قبل ظهوره . من المهم جداً معرفة قراءة العهد القديم على ضوء ذلك فيستضيء حينذاك ما حدث في الظل . إن ابراهيم مثلاً يأخذ ابنه اسحق ليذبحه على جبل موريا ولكن جبل موريا هو نفسه جبل أورشليم حيث سيشاد الهيكل وحيث سيحكم على السيد بالموت . ويعقوب ينام في مكان يدعى لوز ويحلم بالسلم ويقول « ما أرهب هذا المكان إنه باب السماء إنه بيت الرب (بيت أيل) » . ولكن هذا المكان هو نفسه بيت لحم التي تعني بيت الخبز ، خبز الرب ، حيث يفتح باب السماء وينزل خبز السماء إلى الأرض . إن يعقوب عندما جرى له هذا الحادث لم يكن يعلم كامل معناه . ونحن أيضاً لا نعلم الآن في حياتنا مع الله ما سنكون فيما بعد . نحن مثل ابراهيم ويعقوب بل أكثر منهما لأننا في المسيح ، نحن مثل بولس نسير في نور المسيح وحقيقته ولكننا مثله لم نبلغ بعد إلى ملء الملكوت الآتي إلى القيامة . فلا نعلم ماذا سنكون وماذا نفعل الآن . إن الله هو الذي يعمل فينا . الله يقول لبولس اذهب إلى مكدونيا فيؤول ذهابه إلى اهتداء بلاد اليونان كلها . الله يذهب بيوحنا إلى جزيرة بطمس منفياً فيعلن له سفر الرؤيا هناك . إن الكتاب يتحدث عنا إذن ولكن لكي نفهم ذلك يجب أن نعطي ذواتنا

للرب كلياً كل لحظة من حياتنا ، وذلك بالصلاة ومحبة القريب والعمل لمجد الله ..

ثانياً : تفسير الكتاب بالليتورجيا

للكتاب جوهر ليتورجي . فالليتورجيا تشركنا مع الله في سر الموت والقيامة ، وهذا بالضبط ما يتكلم عنه الكتاب إلى أن يتحقق . وهذا محقق لنا كل يوم في القداس الإلهي . إننا هنا نحيل القارىء الى كراس الليتورجيا الذي أشرنا اليه في بدء هذا البحث وقد بينّا فيه مطولاً معنى الساعات والقداس الالهي من جهة التطابق المقصود فيها بين حياة الرب يسوع وحياتنا اليومية ، فغاية الليتورجيا على مدار الساعات والاسبوع والسنة انما هي استعراض تدبير الخلاص وحياة الرب كي ندخل فيها فيتقدس زماننا بنزول الابدية اليه . بالليتورجيا إذن نكتشف الكتاب حياتنا ونعيشه . ونضيف إلى ذلك أن في تقليد الكنيسة قطعاً ليتورجية ذات معان عميقة ، هي تفسير حي للكتاب . مثلاً على ذلك قانون اندراوس الكريتي الذي تتلوه الكنيسة في الصوم الكبير[1] . فهذا القانون يعطينا

---

(١) إنها قصيدة توبة عظيمة (على أثر سقوط اندراوس في هرطقة المشيئة الواحدة على ما يظن وهذا غير أكيد) إنها وثيقة شخصية ، صراخ نفس تئن ، ولكنها في الوقت نفسه تعكس فرحاً عظيما . في الحقيقة ليس من حزن في هذا القانون . إن اندراوس يطبق كل خطايا التوراة على نفسه ولكن بعد تلاوة القانون مباشرة ترتل الكنيسة « أيها الأمم انغلبوا لأن الله معنا » أي أن هذه الخطايا ليست للحزن والقانون نشيد فرح لأن الله قد حطم الخطيئة وحل بيننا .

تفاسير عديدة عظيمة للكتاب : « أنا هو الدرهم الضائع يا رب لأنني أحمل صورتك يا ملكي أما أنت فاشعلت نور الكتاب في العالم وجئت تفتش عني » ... إن في الليتورجيا حقاً كنوزاً دفينة نحن نعيش فوقهـــا في خيم كالبؤساء بينما يكفي أن نحفر قليلاً لنكتشفها . إن كتاب التريودي والبندكستاري وترتيب أناجيـل الآحاد في الصوم الكبير الخ .. ثروة لا تقدر . هذا كله يجب أن نتغذى منه ونتمثله لكي نتعلم سر الله المعطى لنا في كلمته .

ثالثاً : تفسير الكتاب بالآباء

إن الآباء بدورهم ليسوا سوى تفسير حي للكتاب وشرح له وتعليق . لقد مثلوا الكتاب ، وهم يحيون في الفة مع الروح مؤلف الكتـاب الى درجـة يكتشفون معها الكتاب لا من الكتـاب بل من ينابيع قلبهم . لقـد ورد في سيرة القديسة مريم المصرية لكاتبها الأب زوسيا ، أنه عندمـا لقيها في البرية بعد خلوة ٤٧ عاماً صارت تتلو له آيات من المزامير ولما سألها هـل لديك سفر المزامير أجابت « لم أقرأ المزامير في حياتي قط وإنما روح الكتاب نفسه هو فيّ » . ليس الآباء علماء أو فلاسفة يفسرون الكتاب علمياً (لا نحتقرن لذلك علم الكتاب) ولكن كيانهم كله قد أصبح روحانياً وقد رأينا أن روحاً قدساً واحداً في الروحانيات المختلفة . إن قلب الرجل الروحاني الذي يتمثل كلام الله دون انقطاع يفهمه ويتذوقه بمعناه الاكثر داخلية ويختبره ويجسده وينقله للغير ، وبـذا يثبت عرقاً تقليديـاً ثميناً مستمراً . لقد قصد شابان شيخاً ناسكاً في بلاد رومانيا في عصرنا هذا وابتدآ يسألانه كيف خلق الله الانسان والانسان منحدر من القرد ؟ فأجاب بآية من المزامير « لما كان الانسان في

كرامة ولم يعتبر قيس بالبهائم التي لا عقل لها وشبه بها ! » .
ثم مرت فوقهم طائرات نفاثة فقالا للشيخ انظر هذه الاختراعات الحديثة ، وكم هي عظيمة مقدرة الانسان على التسلط على الطبيعة فأجاب : « سنشهد في يوم الدين عن صورة الله في الانسان ما يستطيع الانسان أن يفعله من العظائم ! » . وجاء شاب إلى شيخ آخر طالباً اليه بالحاح أن يفهمه معاني المزامير سريعاً فأجاب خذ سفر المزامير واقرأ . فبدأ يقرأ ، ولم يصل إلى الآية الثانية من السفر كله : « طوبى للرجل الذي في ناموس الرب هواه وفي شريعته يلهج نهاراً وليلاً » حتى أوقفه قائلاً : اذهب واصنع كذلك فتفهم عندئذ المزامير .

الفَصْل الخَامِس

في الطريقة العملية لقراءة الكتاب

ما هي الطريقة التطبيقية أو التكنيكية (إذا جاز القول) في مطالعة الكتاب ؟ إننا بهذا السؤال نقترب من اتصالنا العملي بالكتاب أكثر من ذي قبل :

أولاً : المبدأ الأول هو محاولة معرفة الموضوعات أو الخطوط الكبرى في الكتاب (Themes)

إن القراءة مفيدة دائماً ، ولكن ينبغي أن نتوغل في الكتاب لنبلغ إلى الروح وراء الحرف ، إلى الروح القدس الذي ألهم كاتب السفر . لقد رأينا أن في الكتاب سر تدبير الله الذي هو المسيح ، وأن كل شيء فيه ينتهي إلى المسيح عبر سياحة كبرى في التاريخ والزمن . فعلى هذه الطريق المؤدية إلى المسيح

يضع الكتاب أنصاباً (Jalons) هي موضوعات الكتاب أو خطوطه الكبيرة . في كل سفر ، وفي كل أصحاح ، وفي أعداد كثيرة ، يظهر لنا الكتاب خطوطاً وتيارات يجب أن نتبينها ونفهمها لندرك المعنى الديناميكي لحوادث الكتاب .
إن قصة حلم يعقوب ، مثلاً ، التي أشرنا اليها أعلاه ، قصة طريفة بحد ذاتها ، ولكنها لا تقف عند حد ذاتها ، بل ترسم الميلاد والتجسد ، إذ أن كل شيء مرتب من الله . ففي حلم يعقوب ، إذن ، نتبين فكرة أو خط التجسد في الكتاب ويتسع فهمنا للحادث ويعمق . وهكذا فان الكتاب كله تتخلله تيارات ، كالبحيرات التى تجري فيها تيارات عميقة ، وأنهار أحياناً ، لا تُرى من فوق سطح الماء فعلينا إذن أن نعتاد النظر إلى تيارات الكتاب عند قراءته ، بل أن نلتمس فيه التيارات . تلك التي توافقنا في ذلك الوقت حسب وضعنا النفسي . وهكذا يصبح الكتاب كتاباً شخصياً بهذا المعنى يوجد « كتب » مقدسة بعدد القراء ، لأن كل قارىء يشاهد في المرآة الوحيدة التي هي كلمة الله ، صورة حياته هو ومصيره وطريقه نحو الله . فالشيخ الروحاني ، مثلاً ، يقرأ الكتاب على ضوء الروح عينه الذي في الكتاب ، فيرى فيه ما لا يراه غيره . والمتوحّد الذي يصلي صلاة اسم يسوع في سلام[1] يكتشف حقائق تتعلق بحياة الصلاة . إنه يرى ما يراه غيره من الفئة نفسها . ففي الآية الرابعة من المزمور ٣٨ مثلاً : « إستعر قلبي

---

(١) « يا ربي يسوع المسيح ابن الله إرحمني أنا الخاطيء » .

في داخلي » ، يرى نار الروح القـــدس التي تلهب ولا تحرق كالعليقة غير المحترقة على جبل سيناء ، وهي المكان الذي أعلن فيه الله « إسمه » لأول مرة : صلاة اسم يسوع . (ونلاحظ هنا أن لا بد من خبرة سابقة لفهم هذه الآية) . إذن هناك تيارات كبرى في الكتاب ، وهناك تيارات مطابقـة لوضعنا واختباراتنا إن القديس يوحنا كاسيـان يصف طريقة قراءة الآباء وفهمهم للكتاب المقدس[1] . إنهم يتغذون من المزامير لدرجة أنهم يتلونها كأنهم هم مؤلفوها ، كأنها صـلاة شخصية أو كأنها وُضعت خصيصاً من أجلهم « والآن تمت فينا هذه الأقوال » . إن الروحاني يجسد الحقيقة . القلب والمخاخ يتشربانها . الروحانيون لا يفهمون بالعقل بل بالخبرة الحياتية ، ويحوزون المعنى قبـل الحرف ، فتصبح الأقوال الإلهية ذكريات لمعاركهم وانتصاراتهم أو ضعفاتهم أو لاضطراماتهم وتعزياتهم . هـذه الأقوال بمثابة مرآة صافية يلمسون حقيقتها في فهم عميق . إنها غير موجهة لذاكرتهم ، بـل يلدونها من أعماق قلوبهم . فيصير الكتاب مثل قصة حياتهم على هذا الشرط تدخل الكلمة من الأذن الى القلب وإلا نبقى « كالأفعى الصماء التي تسدّ أذنيها ، التي لا تصغي إلى صوت الحواة ، ولا تأبـه لرقية يعدها راقٍ حكيم » على حد قول المزمور ٥٧ : ٧ ، « إن سمعتم اليوم صوته

---

(١) أنظر المحاضرة الثانية للأب إسحق صفحة ٩١ وما بعدها من المجلد الثاني من كتاب :

Conférences — Sources Chrétiennes No. 54.

فلا تقسوا قلوبكم .. » (مز ٩٤ : ٨) .

ثانياً : عدم التوقف على التفاصيل

في الكتاب تفاصيل ظريفة أو غريبة تلفت النظر وتستوقفنا كثيراً نحن المبتدئين ، فنتساءل : لماذا هذا ؟ ولماذا ذاك ؟ هذه تجربة لأنها تمنعنا عن التوغل عميقاً في روح الكتاب . إنها ناتجة عن عدم انفتاحنا لمعنى الكتاب العميق ، فنتأثر بالظاهر ولا ندرك الجوهر ، فينطبق علينا قول المسيح حول العميان الذين « يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » (متى ٢٣ : ٢٤) . فينبغي تجاوز الفضولية السطحية ، طابع الإنسان الخارجي فينا الذي تهمه التفاصيل الغريبة . ينبغي عدم تجربة الله بالتفتيش عن الغرائب والعجائب بل اتباع الخط العميق الذي يقود المسيح كال الكتاب ومحوره أما الأمور الغريبة فتتضح لنا بعدئذٍ . لا كما نريدها بل كما هي على ضوء هذا الفهم العميق إذ علينا لأجل فهم الكتاب أن ندعه أولاً يحولنا . إننا نجرب الله عندما نقترب منه ونطلب منه بقلب مزدوج ، غير مستسلم كلياً ، شيئاً ما لإشباع مجد ذاتي أو فضولية تافهة .

ثالثاً : مواصلة القراءة

إنها طريقة بديعة أن نقرأ الكتاب بكامله مرة كل عام غير متوقفين عن القراءة ، وأن نشير إلى المقاطع التي تستوقفنا ، وأن نأخذ نوطة على حدة في نوع من التأمل الكتابي . هكذا نتجدد . نحن نهترىء ونحتاج إلى طعام وغذاء ، فينبغي إستعادة نضارة ذهننا إن بالتأمل أو بالقراءة أو بالعمل وإلا نفرغ ونشح فنصبح نحاساً يطن ، وصنجاً

برن لا بد لنا من هذا التجدد المطرد لأن الصمت إنما هو « وطن الأقوياء » وحسب .

رابعا : قراءة آية أو آيتين يومياً إلى جانب القراءة المتوا ..لة المنتظمة

وذلك صباحـاً على الأفضل ثم مضغهـا وهضمهـا كل النهار ، إن الهضم ضروري للاغـتذاء . يجب أن نجتر كالبقرة ، بقرة مغارة الميلاد [1] . البقرة حيوان متواضع صبور هادىء ، يجتر ساعات وساعات ومن المفيد أيضـاً أن نبصر الكلمات ونسمعها ونقـولها بصوت عال ، فبهـذا تسجـل الكلمات في الجسم والذهن معاً . وإذا اعتـدنا على الاجترار اليومي نكتشف شيئاً فشيئاً آيات أجمل من غيرها ، آيات نتبناها ونتعلق بها . مثلاً : « يا حـارس ماذا من الليل ؟ يا حارس ماذا من الليل ؟ » (إشعيا ٢١ : ١١) أو « نفسي إشتاقتك في الليل وروحي في داخلي ابتكر اليـك » (اشعيا ٢٦ : ٩) . بهذه الطريقة نقيم داخـل ذهننا ذاكرة خاصة : كلمة تذكر بكلمة ، وآية تستدعي آية ، فنخرج من ذواتنا هذه الآيات المتفرقة فتؤلف كلاً حياً . ونكتسب أيضاً عادة الصلاة القصيرة العفوية : كلمة واحدة أو آية نصرخها إلى الله من وقت لآخر أو في أوقات الضيـق والتجربـة ، وهي ناتجة عن اجترار الكلمة وتجسيدها فينا . هكذا كان القديس

---

(١) يجب أن نكون في تأملنا للكتاب تارة كالنسر وتارة كالأسد وتارة كالإنسان وتارة كالبقرة ...

انطونيوس الكبير يستعمل صلاة الآية الأولى من المزمور ٦٩ في حربه ضد الشيطان : « اللهم بادر إلى معونتي ، يا رب أسرع إلى إغاثتي » . وهكذا صلاة اسم يسوع هي صلاة العشّار والأعمى في الكتاب : « اللهم أغفر لي أنا الخاطىء ... يا ابن داود إرحمني » .

الفصل السادس

معاني الكتاب

إن الكتاب كلام الله وهو بالتالي لا ينضب ولن ننتهي أبـداً من فهمه : « السماء والأرض تزولان أما كلامي فلا يزول » . كلام الله أزلي يفوق الزمني ويتجاوزه . قـد يعكس الزمني الأزلي ويحويه قدر استطاعته ولكن البحر يظل أوسع بكثير من الإناء . كلام الله يغمرنا وسيبقى دائماً شيئاً يفوقنا . وهذا حسن جداً ، لأن التقدم هو سنة الحياة الروحية و« من لا يتقدم يتأخر » . هذا يعني أن مجرد البقاء في الحياة الروحية يتطلب التقدم فيها دائماً . أن كلام الله إذن يظهر لنا كبحر ، كلجة من المعاني . نحن نعلم أن هناك معان عديـدة للكلام . الكلام العـادي لا يقتصر على مظهره الأول ، فكم بالحري الكلام الالهي . ان

المظهر الأول مجرد علامة ، والحرف يكمن وراءه عالم بكامله (كالانفجار الذري في الرياضيات مثلاً) . هذا ويمكن تصنيف المعاني المختلفة كما يلي :

اولاً : المعنى الحرفي او التاريخي لحكاية التاريخ المقدس

مثلاً انطلق لوط من سدوم الى جبل صوغور . هذا هو المعنى الواقعي الأول . لقد انطلق لوط . ولكن لوط وسدوم وصوغور ليست أشياء مادية تافهة ، بل هنـــاك نية إلهية من ورائها ، قصد وتصميم إلهي ، فيصبح لوط (مع سدوم وصوغور) حاملاً معنى أعلى منه ، وقد يكون غير واع له . إن القديس اندراوس الكريتي في قانونه الشهير يقول : تأملي يا نفسي مثل لوط واتركي سدوم العالم غير الطاهر واهربي الى جبل النقاوة . هذا معنى غير حرفي وغير تاريخي ، معنى وراء المعنى التاريخي الحقيقي الواقعي . إنـــه معنى غير مباشر لأن الانطلاق من سدوم الى صوغور لا يعود يجري مرة واحدة فقط بل هـــو صحيح في كل مكان وزمان تختبر فيها النفس هذه الخبرة . إنه المعنى الرمزي .

ثانياً : المعنى الرمزي الذي يرمي إلى تطبيق اخلاقي كما رأينا او يرمز الى شيء آخر

مثلاً ما جاء في حزقيال ١٦ : ١ – ٦ ، « يا ابن البشر اخبر أورشليم بأرجاسها وقـــل هكـذا . يوم ولدت لم تقطع سرتك ولم تغسلي بالمـــاء تنظيفاً . فمررت بك ورأيتك متلطخة بدمك فقلت لك كوني حية في دمك نعم قلت لك كوني حية في دمك ... » إنه سر الاختيار : كان اسرائيل

كجميع الناس في خطاياه وآثامه فأتى الرب واختاره . مثلا ثانياً ما يرويه سفر التكوين في الأصحاح ١٨ عن زيارة الرب لابراهيم عند بلوطة ممري في شخص ثلاثة رجال : « وتجلى له الرب في بلوط ممري وهو جالس في باب الخيمة عند احتداد النهار فرفع طرفه ونظر الخ .. » إن اوريجنس يفسر ذلك رمزياً بقوله أن إبراهيم كان في باب الخيمة والخيمة هي الجسد ، عند احتداد النهار والشمس في أعلى السماء وهو وقت ذهول ، وهذا يعني أن ابراهيم في حالة ذهول قد رأى رؤيا ظهر له الرب فيها .. أن مثل هذا التأويل الرمزي الذي أخذت به مدرسة الاسكندرية في القرن الرابع على نطاق واسع لم يعد مستعملا الآن كثيراً .

ثالثاً : المعنى الظلي

وهو المعنى الذي يرسم مسبقاً حقيقة كاملة ستأتي في المستقبل وإنما هي الآن مرسومة كظل على حد تعبير بولس الرسول . والمثل الكلاسيكي لهذا المعنى الظلي هو ما جاء في ١ كور ١٠ ١ - ٤ ، « فاني لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم اجتازوا في البحر وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » . هذا المعنى الظلي هو المعنى الذي يسبق فيرسم الحقيقة التي يحققها المسيح . انه بمثابة العمود الفقري للكتاب ، فكل التوراة رسم ونموذج وصورة وظل لما

سيأتي . النور الذي هو المسيح ليس هنا الآن ولكنه يعطي ظلا وذلك في أقوال الانبياء أو أفعالهم ، في خروج اسرائيل من مصر في نزول المن من السماء ، في عبور البحر الأحمر الخ .. وقد حفظ المن في إناء مغلق (خروج ١٦ ٣٢ – ٣٤) لأن الكلمة لم يكن بعد في العالم . ولكن « اسمك دهن مهراق » (نشيد الانشاد ، : ٢) فاسم يسوع هو الروح القدس الذي ينسكب في العالم .

وإن المفسر الأول للمعنى الظلي هو الرب يسوع نفسه ، فهو الذي « أوضح الكتب » لتلميذي عمواس (لو ٢٤ : ٣٢) ، وبعبارة أبلغ « فتح » لهما الكتب (حسب النص اليوناني) . فالرب بالتالي لم يحقق الكتاب بافعاله فقط بل بكلامه أيضاً . في انجيل يوحنا بصورة خاصة وهو الانجيل الاكثر ليتورجية نرى المسيح يفسر المعنى الظلي بل « السري » الليتورجي لرسوم التوراة : « آباؤكم أكلوا المن في البرية وماتوا أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٤٩ – ٥١) : انه سر الافخارستيا ثم « من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي » (يو ٧ : ٣٨) : أنه سر المعمودية[1] . فالرب إذن هو المفسر

---

(١) ان أنهار البرية في الكتاب رسم للينبوع الجديد غير المادي ، الروح القدس نفسه : « قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » يو ٧ ٣٩ وقد جرت هذه الانهار من الصخرة والصخرة رسم وظل للمسيح إن انجيل يوحنا أيضاً يظهر المسيح كحمل الله الرافع خطايا العالم وفقاً لسفر أشعياء

الاكبر للكتاب .

ونرى القديس غريغوريوس النيصصي ، في كتابه « سيرة موسى » يشرح المعنى الظلي لكثير من حوادث التوراة : إن سر الصليب مثلا يظهر في كل مكان ولذلك قيل : « لا يزول حرف ولا نقطة من الناموس » (حرف = Apex وتكتب هكذا (–) ونقطة = foto وتكتب هكذا (١) والاثنان معاً يؤلفان صليبا (+) . إن حية النحاس التي رفعها موسى لينقذ اسرائيل من سم لدعة الافاعي كان لا بد لكي يراها الشعب من رفعها بشكل صليب فوضعت افقياً على سارية عمودية (+) وهي رسم لصليب المسيح (عدد ٢١ : ٩) . وكذلك تظهر علامة الصليب عند عبور البحر الأحمر (خروج ١٤ : ١٦ و٢١ و ٢٧) ...

مثلا آخر : إن متى الانجيلي يورد آية من سفر النبي هوشع (١١ : ١) : « إذ كان اسرائيل صبياً أحببته ومن مصر دعوت ابني » . إن دعوة الشعب المختار من مصر حدث تاريخي وهذا هو المعنى الواقعي الحرفي ، ولكنها في الوقت نفسه نبوءة . هوشع لم يكن يعرف ماذا وكيف ولكن البشير متى يفسر بالروح القدس هذه النبوءة ، وتحقيقها في الابن الحقيقي ، الابن الوحيد ، والشعب المختار هنا هو رسم وظل المسيح .

رابعاً: المعنى الروحي (Ana-gogique) الذي يقود إلى فوق

إنه يرفعنا انطلاقـــاً من المعنى الحرفي والرمزي والظـلي ، فنكتشف معنى آخر للكتاب ، المعنى الأبدي ، حيث المسيح عـن يمين الآب إنه بالتالي معنى « أخروي » أيضاً .

ذلك لأن كلمة الله تمثل لنا على صعد مختلفة : أولا صعيد شريعة العهد القديم ، التي لم تنقض ولكنها قد كملت . – ثم صعيد المسيح كما عاش على الأرض وكما لا يزال يحيا في جسده الكنيسة بواسطة الأسرار التي تمد حضوره بيننا بصورة سرية[1] . – ثم صعيد المسيـح في النفس : باطلاً يصلب المسيـح على الجلجلة وباطلاً يقوم إن لم يصلب ويقم في قلبنا وإلا فما هي قيمة الصلب لنا ؟ وقد قال أوريجنس أنه علينا أن نلد الله ، أن يلد قلبنا الله ، أن نكون جميعنا أماً لله . – ثم صعيـد المسيح الآتي في المجد في مجيئه الثاني الاسخاتولوجي إذ لنا في الروح بواكير الملكوت الآتي : « الحق أقول لكم أن قوما من القائمين ههنـا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله آتياً بقوة » (مر ٨ : ٢٩) مع أنهم ماتوا جميعهم ، ولكن المسيح كان يشير إلى انحدار

---

(١) إن ما كان قبلاً حقيقياً في حياة المسيح قد انتقـــل الآن الى الأسرار الكنسية أعني المسيح نفسه .

الروح القدس وإلى رسم المجد العتيد في نور التجلي على طـــور ثابور حيث أدخل الرسل الثلاثة في عالم الاخرة .

إن هذا المعنى الروحي ينطبق على عمل الروح القدس فينا . مثلا : « من مصر دعوت ابني » (هوشع ١١ : ١ ومتى ٢ : ١٥). إن الله يدعو الناس من عبودية الخطيئة الى حرية الروح والحق ، وأنا ابن الله مخلوق على صورته ومثاله وقد دعـاني من مصر ، بلد الخطيئة ، وقد تركتها وها اعبر الان برية النسك والجهـاد القاسية ولم أدخل بعد ارض كنعان ، وإني مثل اسرائيل أمر في تجربة اشتهاء طناجر البصل والثوم (الشهوات) التي تركتها ، ولكن الافضل لي أن تبقى عظامي في البرية من أن أعود إلى مصر (حسب قول مار اسحق السرياني) عليّ إذن أن أكيف حياتي على ضوء هذا المعنى الروحي الموجه إليّ إن مرحـلة البرية هي مرحلة التقدم في الايمان . بالايمان لست بعد لنفسي بل قد سلمت كل حياتي لله . ولكني بعد خروجي من مصر أمر في ضيق ويأس . إلا أن هذا اليأس هو بالضبط لخلاصي إذ فيه اتبين عجزي وفقري أنا لست معتاداً بعد أن أحيا من الله وحده . في البرية القاحـلة ينعـدم الماء والخبز وتفقد التعزيات الزمنية فاتجه اضطراراً إلى الكلمة وعندئذ ينقذني . إنـه يخلصنا دائماً ويعيننا إن صراخنـا إلى الله لن ينطلق إن لم نكن في الهوة ، والله يربينا هكذا . عند تمزق نفسي فيّ التمس الله . ينبغي أن ننادي الله من اللجة . ينبغي أن نعتـاد العيش من الله وحده إننا طبيعياً نتجه إلى العالم وتعزيات العالم ولا

بد من التربية لتغيير ذلك . في قصيدة لجلال الدين الرومي حول قصة مسيحيـة في الأصل أن ناسكاً عاش طويـلا في البرية في التقشف ثم جاء وقرع باب الله . فسئل : من القارع ؟ أجاب : أنا . فقيل له : اذهب فلا مكان هنا لأثنين . ثم بعد سنوات أخرى كثيرة في النسك جاء أيضاً فسئل : من القارع ؟ أجاب : أنت . فانفتح له الباب من ذاته .

الباب الثاني

الكتاب المقدس والعلم البشري

الفَصل الأوّل

تحديد المشكلة

ننتقل الآن إلى موضوع معقّـد ، هو تحديد العلاقـة بين الكتاب المقدس وبين العـلوم البشرية في معطياتها ونظرياتها ونتائجها ، وبأي مقدار الحقيقة المعروضة في الكتاب هي مثبتة أو منقوضة بالعلوم الموضوعية ، كما يسمونها . إنها مشكلة واسعة جداً وكثيرة التعقيد ، كما قلنا ، ولذا فلا مجال في هذا الكتيّب لحلها ، وخاصة وإنها مشكلة مغلوطة ولكن يجب الاهتمام بها لأن ظروفنا الواقعية كثيراً ما تلزمنا في هذا المضمار بالشهادة لحقيقة الكتاب .

هذه المشكلة حديثة نسبياً ، إذ كان وقت اعتبر فيه كل ما جاء في الكتاب حقيقة كليـة دون أي مجـال للبحث : فالكتاب كله معاً وكل ما جاء فيه له قيمة مطلقة . إن اهتزاز

ذنب كلب طوبيا كان له قيمة روحية ! والتوصية بالخمر لمعدة تيموثاوس كان لها قيمة لكافة الأمراض ، كونها وصية إلهية بحد ذاتها . وكانت التوراة أيضاً ، منذ وقت قريب نسبياً ، تلخص كافة المعلومات البشرية . منذ خمسة قرون فقط ، كان العلم غير متنوع ولا يؤلف مثل الآن علوماً عدة تتشعب كل منها إلى علوم فرعية ، واختصاصات عديدة (في الطب مثلا نرى التخصص يصل إلى كل عضو من الجسم ...) . والعلم الآن لا يدعي شمول مجموع المعرفة البشرية ، بينما قبل عصر النهضة فقط كان يظن الإنسان إمكانية شمول معرفته لكل الحقيقة . وكان الكتاب المقدس يظن محتوياً على كل شيء لأنه كتاب إلهي . كان الإنسان في الحقيقة ليس مؤمناً بل مصدقاً ساذجاً يصدق كل شيء ، كأنه من الله مباشرة ، على منوال الأطفال وأعمال السحر فينبغي إذن التفريق بين هذا الوضع الذي لم يكن روحياً ، بل ظرفياً ناتجاً عن وضع الإنسان المسيحي غير المتعمق وغير المستنير ، وعن شبه عبادته للكتاب ، وبين الوضع الروحي الأصيل . ثم تقدم الإنسان فصار يفسر الحوادث تفسيراً طبيعياً ، غير آتٍ على ذكر الله ولا منكراً إياه : فوصل الكهرباء بواسطة المفتاح الكهربائي مثلا ، لا علاقة له بالله وليس من مشكلة ... ولكن العلوم البشرية ، في وقتنا الحاضر ، تنمو نمواً عظيماً . إنها مقدمة على اجتياح الفضاء فتعطي الإنسان بعداً جديداً ، تفتح الكون المادي ، وتؤثر بالتالي على كون الإنسان الروحي .

عندما نشأت العلوم الطبيعية ، وفسرت الكون تفسيراً

طبيعياً ، ظنّت أنها تناقض الكتاب . فلما اكتشفت مثـلا أن
الأرض تـــدور حول الشمس ، وليس العكس ، كما ورد في
حادث يشوع بن نون ، قالت بأن التوراة إذن على خطأ .
ومنذ قرن اكتشف مبدأ التطور ، فظنت الكنيسة الرسمية أن
هذا الاكتشاف يهدد حقيقة ما جاء في الكتاب ، بأن الانسان
خلق على صورة الله . ولكن هناك سوء تفاهم ، والمعضلة
خاطئة . إن الكنيسة الرسمية كانت أيضاً مخطئة في موقفها
كانت تظن أن سلطانها مهدد بتقدم العلم ، فكانت تمنع العلم
(كما فعلت أيام غاليله) ذلك لأنها كانت تمتلك سلطة
زمنية . في إحدى الولايات الأميركية المتحدة كان ممنوعاً شرعاً تعليم
مبدأ التطور فعلمه أحد الأساتذة عام ١٩٢٦ فحكم عليه كمجرم !
إن هذا لحماقة ، لأنه يخلق للكنيســـة أعداء دون موجب ،
وصعوبات هي بغنى عنها . في روسيا قامت الثورة السوفياتية
ضد الكنيسة الرسمية كونها لا تقبل بالعلم وبالتقدم الاجتماعي
لا ننسَ أن الله قـد يكون حيث لا ندري ، وقد قالهـا
لنا بنفسه : « متى رأيناك جائعاً أو عطشـاناً أو غريباً ...
ولم نخدمـــك ، الخ .. » (متى ٢٥ : ٤٢ — ٤٥) .
فالكنيسة ، في ذلك الحين ، كانت قد تحالفت مع سلاطين
هذا العالم ، الذي يريد البقاء ويخشى فقدان ثروته وسلطانـــه
ومجده وأفكاره المكتسبة غير المقلقة كل شيء جديد يقلق
السلاطين . ولكن حقيقة الله هي الحرية نفسها ، وعندمـــا
لا تدرك الكنيســـة ذلك فلا يمكنها أن تتقدم ، فتعارض
الكنيسة العلم ، ويعارض العلم الكنيسة إلزاماً . أما المسيحيون
فكثيراً ما يتصرفون التصرف عينه ، خاصة في محيطنا الشرقي
حيث العقلية البشرية لم تتكيف بعد كفاية مع الوضع الجديــد

الناتج عن تقدم العلوم المطرد . إننا لا نزال ننظر الى التقليد كشيء لا يتغير ، « كحق » بالنسبة لحقيقـــة الله . ولكن حقيقة الله المتجسدة شيء ، والتعبير عنـه في وقت معين شيء آخر وهذا التعبير قابل للتحسين أيضاً[1] خاصة وأن العقلية البشرية تتطور الآن بلا انقطاع .

الزمن يدور بسرعة والنهاية تقترب . فالمسيحي غير المطلع على العلوم الخارجية والعلوم اللاهوتية ، والذي يكتفي بايمان تطبيقى ، لا يتأمل حقيقته الإيمانية ، عند أول مناقضة لإيمانه يحتار ويخاف ، ويبدأ يغرق كبطرس ، حيث لا مجال للغرق . هذه هي المشكلة . ان هناك عقلية غير عقليتنا تطرح الأمور خلاف ما نطرحها نحن ، فيجب مجابهتها .

---

(١) ان مجمعاً مسكونياً اجتمع ووضع قسماً من دستور الإيمان ، وبعد تسعين سنة انعقد مجمع آخر وزاد على الدستور . فحتى العقيدة اذن تغتني ولا يعد هذا تغييراً .

الفصل الثاني

طرح المشكلة

تطرح المشكلة بأكثر عنف في مواقف ثلاثة :

١ – الموقف الأول هو رفض مبدئي لكل تدخل أو ظهور إلهي في تاريخ العالم ، وهو بالتالي رفض الطابع الإلهي للتوراة رغم الايمان بالله . هذه الفئة من الناس تعتقد بأن الله قد خلق العالم ثم تركه ولا يعود يتدخل فيه وأن العالم إنما يسير على منوال الساعة ، فلا حاجة بالتالي للصلاة إلى الله ولانتظار أي شيء منه . أما التوراة فهي مجموعة مؤلفات استقيت من مصادر عديدة كغيرها من المجموعات التي ظهرت في الصين والهند وبلاد أخرى . والتوراة كتاب بشري حسن وغير حسن فيه أشياء صالحة كما فيه أشياء فظيعة .

٢ – الموقف الثاني هو موقف أناس قد يكونون مؤمنين

إلا أنهم يتكلمون بإسم العلم وعلى صعيد الحقائق القابلة للاثبات العلمي . هؤلاء يرفضون حقيقة بعض الوقائع الواردة في التوراة قائلين أن التوراة تخطىء في بعض الحـالات : فالطوفان مثلا عبارة عن اسطورة ، وخروج اسرائيل من مصر لم يحـــدث فعلا الخ ... إنهم يعترفون بطابع التوراة الإلهي خلافاً للموقف الأول ، ولكنهم يقولون : إذا اخطأت التوراة هنـا فما من أحد يستطيع أقرار عدم خطأها هناك .

٣ – الموقف الثالث هـو موقف من يعترفون بالكتاب وبما يرويه ولكنهم ينكرون التفسير المسيحي للكتاب فصحيـح مثلا أن اليهـود خرجوا من مصر ولكن لمـاذا نفسر عبورهم البحر الاحمر بمساعدة الله لهم ؟ فموسى كان رجلا حكيماً وعالماً في زمنه ، عالماً بالمد والجزر فغادر مصر في أيام الفصح والقمر بدر وعبر البحر الاحمر في أضيق مكان وقت الجزر ، ثم أتى المصريون مع المد فغطتهم المياه . وكذلك قصة جبل سينـاء ولوحي العهد . فقد صعد موسى حقيقة الى الجبل وحدث فعلا ما ترويه التوراة . ولكن هذا كان نوعاً من زوبعة أو بركان فخدع موسى الشعب اذ كان أفهم منهم .

وهكذا يمكن تلخيص الاعتراضات المختلفة على الكتاب بأن جميع المعترضين يسيرون بإظهار متناقضات الكتاب ، تلك المتناقضات التي كشفتها العلوم الفلكية والجيولوجية والبيولوجية وغيرها (مثلا قصة دوران الشمس حول الأرض ، وقصة خلق العالم في ستة أيام ، وقضية قدم الكون الذي يبلـغ في الحيقيقه مليارين وستماية مليون سنة ، وكيف خلق النور أولاً ثم الشمس مصدر النور ، وكيف خلق الله الانسان ونفخ الحياة

في انفه بينما وجدت أولاً خلية أعطت بالتطور سائر الكائنات الحية ومنها الانسان ، وكيف الارنب ليس من الحيوانات المجترة خلافاً لما يورده الكتاب الـــخ ..) ، ثم المتناقضات الاخلاقيــة (كيف لجأ ابراهيم أبو الأباء الى الكذب جاعلا امرأته اخته أمام المصريين للابقاء عليها ، وكيف سلب يعقوب حق البكورية من عيسو احتيالاً ، والعبارات المنافية للاخلاق الخ ..) ، ثم المعجزات والعجائب التي يجمعون على أنكارها . فكيف نجاوب عن كل هذا ؟ من البديهي أنه لا يمكننا اقناع الطرف الاخر كلياً عن طريق حججنا إذ ليس من وصفة عجائبية في هذا المضمار . بل ينبغي محبة الطرف الآخر والصلاة من أجله وعدم ادانته إذ قد يكون سائراً في الطريق نحو الإيمان وقد يكون أحسن منا .

الفَصْل الثَالِث

كيف نجيب المشككين ؟

كيف نجيب ، أو بالحري ماذا ينبغي أن نعلمه نحن أولاً لنجيب الآخرين ؟

١ - فيما يتعلق بحقيقة تدخل الله ، أي بوجود الإله الحي فهذا سر الإيمان ، وبدون الإيمان الكتاب المقدس كتاب عادي كغيره من الكتب . فعلينا هنا ، بالتالي ، أن نحاول الشهادة لوجود الله حسب إمكانية فهم الآخر . فإذا كان الله موجوداً فعلاً ، فلا يمكنه التخلي عن خليقته ، وإلا فإنه ينكر ذاته .

٢ - فيما يتعلق بحقيقة الوقائع الواردة في الكتاب ، من المعروف أن الاكتشافات الأثرية الجارية منذ حوالي أربعين سنة ، خاصة في مصر وفلسطين وما بين النهرين ، تثبت رواية

الكتاب المقدس . فالعالم الأثري وولي قد اكتشف مدينة أور الكلدانية ، ومكان برج بابل ، وبحراً من الوحـــل من آثار الطوفان الخ ... مستنداً في إجراء حفرياته إلى نصوص الكتاب المقدس ، ومستدلاً منها على هذه الأمكنة . إتبع الطريق الذي سار عليه اليهود من مصر إلى فلسطين ، حسبما ترويه التوراة ، واكتشف آثارهم . فما تذكره التوراة مثــلا ، في سفر الملوك الأول (٥ ٦ و ٦ : ٥ و ١١ و ١٨) عن تكاثر الفيران على بني أشدود وصنعهم فيراناً من ذهب لتـــابوت الرب درءاً للبلاء ، قد ثبت بوجود هذه الفيران الذهبية في مكان وزمان يطابقان قول الكتاب . وكذلك الرجال السابرون غور البحر الميت قد اكتشفوا وجود انخفاض جيولوجي حادث منذ أربعة آلاف سنة في أيام ابراهيم (كما جرى منذ بضع سنين في بلاد الشيلي) . إذن ، حقيقة حوادث الكتاب لا يناقضها العلم بل يثبتها يوماً بعد أكثر فأكثر .

٣ – فيما يتعلق بتفسير الوقائع تفسيراً مسيحياً ، لا شك أنه ينبغي أن يؤخذ الكتاب ككل ، فإذا نزعنا عنه معناه الأساسي الذي هو الحوار بين الله والانسان ، وفسرناه تفسيراً بشرياً بحتاً نكون قد بترناه وابتعدنا عن حقيقته الكلية . وانه لأبسط أن نقبل باعلان الله ذاته في جبل سينا بغية التأثير على الشعب الاسرائيلي المتمرد والقاسي الرقبة من القول بأن تابوت العهد كان عبارة عن خزان كهربائي استخدمه موسى لمنع الشعب من الاقتراب !

هذا وإن العلم لا يستطيع مناقضة الكتاب ، لأن حقيقة

الكتاب تجري على صعيد آخر غير صعيد الحقيقة العلمية . ينبغي الإشارة هنا إلى خطأ بعض المسيحيين الذين لا يريدون مقابلة الكتاب بالعلم إن العلم انما هو للكون المنظور وما هو قابل للإثبات ، أما الكتاب فهو للحقيقة الروحية ، لسر الخلاص حيث لا دخل للعلم . لو كان العلم يستطيع اثبات وجود الله ، فما كان الله الله ، بل كان موضوع إثبات أي شيئاً أقل وأدنى منا ، في حين أن الله هو الذي يسيطر علينا ويفوقنا ولا « يقبض » عليه .

ثم لا ننسَ أن الكتاب هو كلام الله خلال تاريخ البشرية بكامله ، وهو يتكيف مع الانسان في وضعه الظرفي حسب مراحله . كلام الله يتناول الانسان من أدنى حالات السقوط ليرفعه إلى الخلاص . ولذلك لم يكن للكذب في الأيام القديمة مفهوم الكذب اليوم مثلا والناس في الكتاب يتكلمون لغة زمانهم ، فغروب الشمس وشروق الشمس طريقة في التعبير ، وليس إقراراً علمياً فلكياً ! إن الكتاب يستخدم لغة الزمان والمكان ، وهذا شكل الإعلان الإلهي لا فحواه لذا نجد فرقاً ملحوظاً بين سفر القضاة وسفر اشعياء مثلا ، أو بين إيليا ويوحنا المعمدان ، فيوحنا يدع أخصامه يقتلونه بدلاً من أن يقتلهم .

ثم إن الكتاب يتكلم بلغة رمزية في كثير من الأحيان ، برموز تتجاوز المعنى المباشر فيجب بذل جهد لفهمها قصة الخلق مثلا : إنها رواية صحيحة ، ولكن يجب أن لا تُفهم فهماً حرفياً وماديا . عندما يقول الكتاب ان الله يتكلم ، هذا

لا يعني أن له فماً ، وكذلك عبارة « القديم الأيام » لا تعني أن له لحية بيضاء ... ينبغى الارتفاع إلى المعنى الرمزي لأن الأشياء الروحية لا تُصوّر مادياً ، والانسان الحديث خاصة ، يعسر عليه تصورها لأنه يدرك الأمور مادياً فقط . ومع ذلك فإن العلم الآن قد تبين استحالة تصوير الالكترون . كانوا يظنون الالكترون شيئاً كروياً صغيراً ، ولكنه لم يعد قابلاً للتصوير الآن : إذن يجب تجاوز الإدراك المادي للكتاب ، والارتقاء إلى المعنى الرمزي . يجب أن نتجاوز أنفسنا في قراءة الكتاب [١] .

---

(١) لم نرَ مجالاً للاسترسال كثيراً في هذا الباب إذ أن هدفنا الأول هو الدخول الى روحانية الكتاب .

الباب الثالث

قوام الكتاب وروحانيته

الفَصلُ الأوّل

الخطوط الكبرى في الكتاب

نعتزم الآن الدخول بصورة أعمق الى فحوى الكتاب وقوامه الداخلي . اقترابنا منه ليس بعد اقتراباً خارجياً بل سنحاول الدخول في كلام الله وادخال كلام الله فينا . هـذا الموقف يجب أن يكون موقفنا فى كل ما سنراه في هذا الباب .

نستطيع قبل كل شيء أن نميز ثلاث مراحل لسر كلام الله في الكتاب :

١ – المرحلة الأولى مرحلة إنشاء هي الخلق وتوابعه .

٢ – المرحلة الثانية هي السقوط أو الخطيئه . كانت الخليقة حسنة فقاومها الإنسان بموجب حريته فنتج عن ذلك التشتيت والاضطراب .

٣ - المرحلة الثالثة هي العودة الى الوضع الأول بواسطة الله ، ولكن بصورة أفضل وأعمق وأعلى ، لأن الإله نفسه الذي خلق العالم في البدء ينزل الآن كلياً إلى العالم ويتبنى صورة الانسان من الداخل ... هذه خلاصة عامة جداً عن الكتاب المقدس .

ولكن الكتاب بصورة أدق يعلن لنا سر الخليقة وسر كلام الله فيها في اطوار عديدة . وهذه الاطوار محددة بوضوح تام في الكتاب وتؤلف موضوعات ومراحل كبرى جديرة بالتأمل وهي تطابق مراحل حياتنا الشخصية مع الله . فما هي هذه الموضوعات الكبرى في الكتاب ؟

اولا : الخلق والسقوط : خالق الكون وآدم وسقوطه

هذا موضوع يطبق على الحياة الشخصية في كل حين : كلنا خليقة الله وفي الوقت نفسه نحن بعيدون عنه . « سقوطنا » هو بعدنا عن الله نحو الأسفل . نحن في حالة سقوط . ولكن مركز ثقلنا أصبح فوق منذ مجيء المسيح . كل حياتنا اصبحت منجذبة الى فوق ومع ذلك سنبقى دائماً وإلى ما لا نهاية بعيدين عن الله . الملائكة أيضاً بعيدون عن الله الى ما لا نهاية . هذا بالطبيعة هو لأن الله انما هو الخالق ولا يماثله أحد . « من مثل الهنا » هذه العبارة هي ترجمة إسم « ميخائيل » رئيس الملائكة الذي وقف في وجه لوسيفروس المتمرد على الله . إنها بمثابة صوت بوق التجمع جواباً على أول محاولة لردم الهوة بين الخليقة والله . « من مثل الهنا » ؟.

ثانياً : الوعد

في هذه المرحلة يتدخــل كلام الله لا في الطبيعة الخارجية بالخلق بل في الطبيعة البشرية في النفس إن وعد الله للانسان بالخلاص يوجه الى كائن أهل لقبوله ، الى إبراهيم أبي المؤمنين وأبي كل واحد منا في الايمان . لقد صار إبراهيم أهلاً واختاره الله لقبول الوعد باسم كل ذريته . وهذا يعني ابتداء مغامرة بشرية جديدة . ينزع الانسان ذاته من الخليقة البشرية ومن بيئته ليعيش معلقاً فقط بكلام الله . وهذا يطبق علينا كلنا . نحن أولاد ابراهيم إذا تشبهنا به

ثالثاً العهد

هنا يبدأ الله تحقيق وعده إذ يعطيه شكلا أقوى وأمتن يصبح الوعد عهداً وميثاقاً يرتبط فيه بعلامة لا تزول (ميثاق جبل سيناء). ولكن هناك فريقين في الميثاق وعلى الاثنين أن يكونا أمينين . الفريق الأول امين حتى النهاية وهو «الآمين ، الشاهد الامين » . أما الفريق الثاني وهو الانسان بل الشعب كله (لأن الميثاق يمتد لأجيال عديدة) فليس أميناً كالله غير أن الله لا يرجع عن عهده . والذي يمثل الشعب في هذه المرحلة هو موسى . أما ما يطبق علينا هنا فجلي : إن وجودنا بحد ذاته عهد بين الله وبيننا نحن لقد خلقنا له ونحن به وفيه موجودون وهذا عهد لا ينقض . أما جوابنــا فيجب أن يكون الأمانــة له . وكما كان على الشعب المختار أن ينقل الامانة لغيره علينا نحن (وكل منا يمثل شعباً كاملاً من الافكار والاقوال والتصرفات) أن نجعل كل هذا الشعب فينا أميناً لله .

رابعاً : الملكوت

قام ملكوت اسرائيل وحقق الله وعده فأدخلهم أرض كنعان بعد عبودية مصر والسير في البرية والحروب العديدة . والفترة الآن هي فترة التنظيم والاستقرار في أرض الميعاد . إن هذا رسم للملكوت اسمى سيقيمه الله لا في كنعان فقط ولا للشعب المختار فحسب بـل لجميع الشعوب . ورسم الملك الآتي هو الملك داود

خامساً الجلاء

بعـد أن حل الشعب المختار في أرض كنعان كشف السر الذي كان يتم فيـه . كان على الاسرائيليين أن لا ينسوا أنهم صنع يـدي الله وأداة له من أجـل تحقيق ملكوت أسمى . ولكنهم اتخذوا الملكوت الارضي هـدفاً بحـد ذاته وظنـوا أن الله سيملكهم على بقيـة الامم ونسوا الغاية الفائقة الطبيعة التي من أجلها كانوا . لقد تمثلوا بالممالك القائمـة حولهم ، أشور وغيرها ، وتوقعوا أن يصبحوا أقوى منهم فصار الله في خلدهم أداة في أيديهم بـدل أن يكونوا هم أُداة له . إنهم شعب قاسي الرقبة لا روحانية فيه[1] عندئذ شتتهم الله

---

١) الهنود مثلاً قوم أكثر روحانية من اليهود . إنهم يفتشون عن الملكوت ويتركون كل شيء في سبيله ممتدين نحو المطلق . ولكن الله لم يخترهم لأنه يصعب عليهم أن يميزوا في شعورهم الروحي الطبيعي بين مـا هو من الله وبين ما هو منهم ، في حين أن الله يريـد أن يتميز بصورة مطلقة . لا شك في أنه يوجد ، في كل زمان ومكان ، أنـاس حكماء وقديسون ولكن الله قد اختار أكثر الشعوب قسـوة وأكثرهم مادية ليختتنهم ويختن قلبهم .

من جديد ، أعادهم إلى البرية . « هاأنذا أتملقهـــا وآتي بها الى البرية وأخاطب قلبها » (هوشع ٢ ١٤) . ليس من بعـد ملوك للشعب أو كهنة بل أنبياء وأنبياء شؤم إذ يجب تحطيم قساوة قلوب الشعب وتحطيم الأسس البشرية لمملكـة اسرائيل بغية إعدادهم للملكوت السماوي الأخير . إنـــه تذوق مسبق للآخرة يظهر مع الانبياء : فليس كل ما كان (داود وأرض كنعان وبناء الهيكل) أن بيت الرب الحقيقي ليس الهيكل . ليست الغـاية أن تكونوا ملوك الأرض وتزدهر مواهبكم البشرية أرض كنعان ليست الغاية الحقيقية وإنما الغاية هي الأخرة . إن مرحـــلة الجلاء هذه مرحلة مهمة جداً : إنهـــا الانتقال من اسرائيل الجسد إلى اسرائيل الروح .

سادساً التجسد

إن كل تدبير التجسد (الميـــلاد والكرازة والصلب والقيامة والصعود والعنصرة) بمثابة الدخول في الازمنـــة الأخيرة ، في « يوم الرب » الذي تكلم عنه الانبياء والذي يدخلنا إلى الاخرة لقد بدأت الاخرة ونحن مجدداً سواح ولكنها سياحة تسير بنا لا نحو ملكوت أرضي بل نحو الابدية حيث المسيح مالك في المجد . بالمسيح نحيا ونوجد ونتحرك . وليس علينا إلا أن نقول آمين لتدبير الله إلى أن يصبح هـذا الآمين عاماً شاملاً يوم القيامة العامة .

كل ما تقـدم موجـود بايجاز في الرسالة الى أفسس حيث يقول الرسول : « عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها

في نفسه لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السماوات وما على الأرض في ذاك (أفسس ١ ٩ و١٠) .
كل الكتاب المقدس هو كتاب خلق الله المستمر المتوالي . « أبي يعمل حتى الان وأنا اعمل » (يو ٥ : ١٧) . إنه خلق متصل وغير متصل في آن واحد فالله يعمل دون انقطاع متابعاً تحقيق قصده على الدوام ، وقصده هو ذلك التيار العميق الجاري تحت التاريخ وتحت النفوس ليخلصها : خلق السماء والأرض ، ثم خلق الانسان ثم خلق الشعب المختار ثم خلق الخليقة الجديدة خلقة القيامة ، ثم خلق النفوس الامنية (في كل لحظة ندخل مشيئة الله « هو يزيد وأنا أنقص » ..) ولكنه خلق متقطع في الوقت نفسه بمعنى أنه يتم دائماً بواسطة انفصال عما يسبقه ، في بتر وقطع . إن اختيار الله للناس إختيار فائق الطبيعة فيما أراد إبراهيم أن يترك أرضه وعشيرته بل الرب أراد وليس عيسو البكر الوارث بل اسحق أخوه الاصغر وهلم جرا . ينبغي أن يحطم الله دائماً ذلك التواصل الذي يجعل اسرائيل يتعلق بالأرض وبآرائه الخاصة . ولذلك حياة اسرائيل كانت حياة جهاد جهاد بينه وبين الله ، جهاد ضد الله . إن لفظة اسرائيل تعني من « يجاهد ضد الله » . ولفظة « عبرانيون » (عبر) تعني من هو سائح ، لا يتوقف . وعندما « يتوقف » اسرائيل في أرض الميعاد ويبغي لذاته مملكة حسب أفكاره ، فعلى الله أن يحطم هذا التعلق ويعيد اسرائيل للجلاء ، للسير عبر الصحراء . إن الحياة الروحية إذن جهاد ، نضال ينتزعنا كل لحظة عن انفسنا ويلقينا في الامانة لإرادة الله

إن انطونيوس الكبير حتى سن الثمانين جاهد وجاهد ليلا ونهاراً . إن الرب يفرح حين يرى عبيده يجاهدون فهـذا هو الدليل الوحيد والشهادة الوحيدة بأننا أمينون لله . لا بد من الجهاد لكي نتجاوز أنفسنا ونتسامى فوق ذواتنا . إن البركة لا تأتي إلا بعد جهاد . بركة الملاك ليعقوب لم ينلها هذا إلا بعد ليلة كاملة من الضيق والعراك (تكوين ٣٢ : ٢٤ — ٢٩) والمسيح سلك هذه الطريق قبلنا .

الفصل الثاني

الخلق والسقوط

نعود إلى مراحل الكتاب وموضوعـــاته الكبرى واحدة فواحـــدة ونبدأ بالمبـــدأ العميق المطلق : الخلق . إن سفر التكوين بالعبرانية « برشيت » هو سفر « البداية » : « في البدء خلق الله السماوات والأرض ... » (تكوين ١ : ١ ومـــا بعدها) . إنها رؤية نيرة مشعة للسر الأول سر الخلق . ولكل كلمة مغزى . « في البدء » أي كان هنـــاك بدء ، في وقت معين ، والعالم ليس أزلياً . البدء نفسه إبتداء . الزمن نفسه له بدء . العالم ليس علة ذاته لأن العلة تسبق المعلول . لو كان العالم عـــلة ذاته لكان يسبق نفسه أي كان وجوده يسبق وجوده ! . « وقال الله ليكن نور فكان نور ... » وقال الله .. وقال الله ، إن هذه العبارة المتكررة تعلن ما قرر آنفاً أعني أنها تفسر كيف خلق الله السماوات والأرض . إن الكتاب

المقدس ، منذ بدايته ومنذ بداية الخلق ، يدخلنا إلى سره ، إلى سر الكلمة الخالقة . « وقال الله » ..

لنتوقف قليلا عند سر كلام الله ونتأمله

إن الكلام عامة ، الكلام البشري الموجه لنا والموجود في داخلنا ، سر كبير لا ننتبه اليه عادة (إن العادة هي العدو الأكبر لكل سر . إنها تنشىء معرفة خاطئة فاسـدة ، لأن المعرفة الحقيقيـة تحتوي دائمـاً على شيء من الدهشة) . سر الكلام انه كشف وإعلان في حد ذاته . إنه يزيد على الموجودات وجوداً آخر هو معنـاهـا ، فالكلام يعطيها معنى ونوراً . بالكلام تدخل الروح إلى المادة . وجود المادة غير كامل لأنها تجهل نفسها ، ليس لها الكلام . هذه الطاولة موجودة ولكن وجودها ناقص . إنها كثيفة ولا تعرف أنها طاولة . والحيوان كذلك ، وإن كان أرقى من المـادة ، وهو يتحرك ، ولكن غرائزه تحركه ، وتحركه من الخـارج . الكلام وحـده يعطي للمادة معناها وهو خاص بالانسان وحده . ليس الكلام التعبير الخارجي فقط ، لأنه قبل أن يكون كلامـاً معبراً فهو كلام داخلي وإلا فلا يكون كلاماً البتة . لأن الكلام لا يمكن أن يأتي من الخارج اذ يجب أن ينبع من معنى ، من ذكاء ، من نور . إذن فالكلام بحد ذاته منير وكاشف . قبل أن اصل اليك بكلامي أصل الى نفسي أعي نفسي بالكلام ، من المعروف أن الطفل حتى سن الخامسة ليس له « أنا » ، فمعرفة الكلام تنقله من الشيء الى الذات ، الذات الذي له كلمة وبهذه الكلمة يلقي نوراً على ما يحيط به .

والكلام أيضاً خالق شركة وعـــامل اتحاد ، إنه يحطم الانعزال ، لنفترض عدم تمتعنـا بهبة الكلام : لا إمكانية لنا عند ذاك لأي اتحاد (ليس الاتحاد الخارجي اتحاد الحيوانات الذي هو تجمع لا اتحاد وشركة) . لأن أي اتحاد يلاقي قبولاً في الاخر ، يعبر مني اليه ، يأتي من أعماق الكيان . إنه اتحاد يسبق تحقيقه ، ملاقاة في العمق ، إنهما روحان ونفسان وإرادتان تلتقيان في عمق كافٍ لتستطيعا القول : بيننا اتحاد حقيقي كامل متين . وبالكلام وحده نستطيع ذلك . بدون الكلام أنت عالم مغلق بالنسبة للآخرين . إن الغريب عن لغة الآخرين يتــألم بينهم . فالكلام يوجد وحدة بين الأشخاص ، ثم بين أهالي القرية الواحدة والحي والمدينة ... ثم بين سكان الوطن الواحد الخ ..

أما كلام الله ، الكلام الذي خلق به العالم ، فسنقف عنده في ثلاث نقاط :

١ - في البدء خلق الله . فكان إذن بـدء ، وكان الله قبل أن يكون البدء ، والكلمة التي خلق بهـــا الله العالم هى سابقة للنطق والتعبير ، أي أنها أزلية . وهكذا يتاح لنا أن نرى في سر أزلية الله سر حوار أو بالأحرى اتحـــاد : إن إلهنا وحيد ، ولكنه ليس وحده ، إذ عنده الكلمة ، الكلمة « الداخلية » منذ الأزل ، إن تيوفيلس الأنطاكي توسع في شرح هذه العقيدة العميقة : « الكلمة الداخليـــة هى عينها الكلمة المنطوقة » والخليقة المحققة بكلمة الله تنقل الينا شيئاً من الله

نفسه ، شيئاً من الأزلية . ونستطيع القول بالتالي أن الخلق هو انتقال أول لله الينا . الخليقة هى الكلمة معلنة ومظهرة ، وينجم عن ذلك أن الخليقة لا يمكن أن تكون شيئاً منحطاً . لقد كانت الشعوب جميعاً تعتبر الخليقة إما أزلية ، وهذه صنمية ، أو حبساً للنفس وشراً وسقوطاً (أفلوتينوس) فنحن الآن إذن ، أمام عقيدة جديدة وهي أن الخليقة ليست فاسدة .

٢ — في البدء خلق الله ، وهذا يعني أن كلام الله خلاق انه فعال مباشرة . الكلام البشري فعال أيضاً ، ولكن بصورة غير مباشرة ، إذ ينبغى أن يمر بإرادة آخر ويقبله آخر لكي يتحقق (مثلا أعطني كأس ماء ..) ، لا بد له إذن من المرور بسلسلة من الأشياء المخلوقة ، في حين أن كلمة الله تفعل ليس فقط معنى وإعلاناً بل قوة أيضاً . هي قوة الله نفسها تتدخل في العالم . وهذه النقطة الثانية كان لها التأثير الأكبر على الوعي الإسرائيلي . لقد كان حول إسرائيل شعوب وثنية تقيم مع الأوثان عقوداً تجارية : تصنعها ثم تذبح لها لتنال منها عوناً ولكن الكلمة الإلهية علمت الشعب اليهودي أنها ليست وثناً جامداً ، بل هي قوة تفوق سائر قوات الطبيعة . « صوت الرب على المياه .. صوت الرب يحطم أرز لبنان .. صوت الرب يقطع لهيب النار ، صوت الرب يزلزل القفار . من صوت الرب تجهض الأيايل ، وتكشف الأدغال .. » (مزمور ٢٨) ، « فاهتزت الأرض وتزلزلت واضطربت أسس الجبال ومادت » (مز ١٧ : ٦ — ٧) . إنه نوع من ظهور إلهي ، إن كلام الرب قوة تسمو على ما تعبده الأمم وعلى

كل حدث طبيعي ، على الجبال والأرض وكل شيء .. ولكن الكلام الإلهي يفوق أيضاً كل فكر بشري . رب أحد يقول أن الله ليس جبلا ولا أرزاً إنما هو فكرة ، لكن سفر اشعياء يجيب : « إن أفكاري ليست أفكاركم ، ولا طرقي طرقكم .. كما علت السماوات عن الأرض ، كذلك علت أفكاري عن أفكاركم » (اشعياء ٥٥ : ٨ - ٩) . فما هو الموقف الواجب بالتالي تجاه هذه الكلمة الإلهية ؟ إنه موقف خوف وطاعة ، والعهد القديم يلح كثيراً على ذلك . إن الكلمة متسامية ولذا علي أن أرهب لكي لا أخلط بين الله والأشياء (بدء الحكمة مخافة الله) . إنه « آخر » وليس لي مدخل اليه إن لم يرسل هو أولاً كلمته إلي . نحن لا نتصور الله ، واذا صار الينا يقع علينا خوف عظيم ، خوف احترام وخشية واحتشام . ان « الاخر » يأتي الي . « ليتك تشق السماوات وتنزل فتسيل الجبال من وجهك » (اشعياء ٦٤ : ١) .

٣ — الكلمة الخالقة سر محبة وهذا أعمق شيء يمكن قوله عن سر الله . إن المحبة تظهر في العهد القديم من وقت لآخر فقط لأن الله كان يجاهد ضد شعبه لكي يعوده على السير معه إلى أن تجسد الكلمة وتم إعلان المحبة . « عبر كل ظهورات الله في تاريخ إسرائيل كانت كلمة الله تعتاد أن تعيش مع أبناء البشر وتعودهم أن يعيشوا معها » (القديس ايريناوس من ليون) . إنه بالتالى حوار محبة يكتمل . وحركة المحبة الأولى كانت بالضبط في ايجاد الخليقة . ما هي المحبة ؟ هي ذلك الاتحاد الأكثر إمكاناً بين كائنين يعطيان ذاتهما الواحد للآخر بأكمل ما يمكن . فالمحبة إذن تفرض وجود آخر وتخرجني

نحوه هذا صعب علينا عملياً لأننا محدودون ونظن أن كمالنا في محدوديتنا (في حين يقول الكتاب ينبغي ان هذا يزيد وأنا أنقص !) نحـن نخشى الخروج من ذواتنـا خوفاً من الضياع ، بل يعسر علينا أن نقبل الاخر كما هو . وأما الله فليس فقط يقبل الاخر بل يوجده . لماذا يوجده ؟ لأنة إنما هو سر محبة ، وفيه ذلك الاتحاد الداخلي الذي يريد ذاته مساهماً بصورة كلية من قبل آخر . فالله اذن يخلق الكائن ليعطيـه حبه ويتحد به .

منذ صفحة الكتاب الأولى نجد كل ذلك . منذ بدء التكوين تبدأ آلام الله أعني حبه ، أعني صلبه . لأنه يعرف أن ذلك الاخر لن يبادله الحب كلياً . ولذا يتكلم سفر الرؤيا عن « الخروف المذبوح منذ بدء العالم » . إن الخلق يدشن آلام الله . « لقد أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ليخلص العالم » أي بذل نفسه . ولما أقدم على ذلك (في الخلق) غامر مغامرة هي احتمال رفض الناس للكلمة ورفضهم لمحبته « فأحبهم الى المنتهى » إن سر الصليب أساس الخلق نفسه . واذا قابلنا بين بداية الاصحاح الأول من انجيل يوحنا وبداية الاصحاح الأول من سفر التكوين [1] نرى انها نوع من سمفونية : كان سر

---

(١) « في البدء خلق الله السماوات والأرض » . « في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . » – «وقال الله ليكن نور فكان نور : فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس – وفصـــل الله بين النور والظلام : والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه .. » الخ .

المحبة مخيفاً في التكوين فيعلن في يوحنا بصورة خاصة .

وما دام الخلق سر محبة فالموقف الواجب من الكلمة هو موقف طاعة وانفتاح في المحبة . « الإصغاء » الى الكلمة معناه الطاعة والامتثال والمعرفة . منظر الشيء لا يكفي فلا بد من الكلام . الظهورات علامات فقط ، أما الكلام فيجب أن يُطاع . بالإصغاء الكلي الى الكلمة أستطيع أن أتعود عليها وأعودها علي ، أستطيع دخول الكلمة وإدخالها فيّ . « خزنت كلامك في قلبي لكي لا أخطأ اليك » (مزمور ١١٨ : ١١) . الشرود يمنعنا عن الإصغاء ، ولذا يجاهد النساك ضده ويسعون وراء « يقظة القلب » . « مستعد قلبي يا الله مستعد قلبي » (مز ١٠٧ : ١) . الكلمة يقرع على باب القلوب : « من له أذنان للسمع فليسمع ».. لقد كان الكلمة يقرع مفتشاً عبر ألوف القرون عن قلب يقبله لكي يتجسد ويحل فينا : « الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي تأملناه ولمسته أيدينا » (١ يو ١ : ١). فكان قلب العذراء القائل « ليكن لي حسب « قولك » هاءنذا أمة للرب .. » لقد نسيت مريم ذاتها وصارت كلها شوقاً للانفتاح إلى ربها . محت ذاتها كلياً : لجة العذراء تجيب لجة الكلمة . ولذا تقول مدائح العذراء : « يا عمقاً يعسر النظر اليه من الملائكة » .

فيجب إذن الإصغاء للكلمة وإطاعتها واقتبالها فينا . كان وقت شرود ولا شك ذاك الذي لم تستمع فيه الخليقة إلى محبة الله بل الى وشوشة العالم . انقطعت لحظة عن الاستماع لكلام الله لتستمع وتطيع وشوشة المجرب في الفردوس . لقد رأت التفاحة شهية للنظر فكانت التجربة وكان التمرد والعصيان .

وفقد الإنسان معنى كلام الله . لم يعد يرى العالم في نور كلام الله ، أعني في الطاعة الداخلية لمن خلق العالم بفعل محبة . وصار ينظر الى الكون كإلى خصم . وصارت الحيوانات لا تعود تسمع له . فبدأت الطبيعة تبغض الإنسان ، والإنسان يبغض الطبيعة . وفقدت الحياة الداخلية في الوقت نفسه ، لأن الكلمة تتجه الى القلب . وفقد الإنسان الشعور بحضرة الله والسلام الداخلي . فتشرد في العالم تائهاً ، مظلماً ، وحيداً : إنه السقوط . وصار الإنسان يلتمس صوت الله هنا وهناك ، في العالم أجمع (بواسطة العرّافين والسحرة ...) ، ولكن دون أن يجده . إنها الوثنية والأصنام ... ولكن الله لم يتخلّ عن خليقته لأن محبته أبدية . إلى أن حان الزمان وجاء إبراهيم فبدأت معه مرحلة الوعد .

الفَصْل الثَالِث

الوعد

لقد وضعتنا كلمة الله الخالقة ، في الفصل السابق ، أمـام مأساة الانسان التي هي السقوط . كان الانسان صديقـاً لله يكلمه وجهاً لوجه فأصبح الآن يهرب منه ويختبىء . « سمعت صوتك .. فاختبأت » (تكوين ٣ :) ولكن الله لا يتخلى عن خليقته ، فكل سفر التكوين ، بعد سقوط آدم مباشرة ، يرينا رحمة الله على خليقته ، وعنايته بخلاصها .

إن الاصحاحات الأحـد عشر الأولى من سفر التكوين لا تتعلق مباشرة بالتاريخ المقدس في الاصحاح الثاني عشر ومع إبراهيم فقط يبدأ تاريخ الخلاص .

إن الاصحاحات الأولى تتعلق بتاريخ البشرية العام ، فموسى

كاتب السفر قد جمع بعض المعلومات الأولى المحفوظة في ذاكرة جميع الأمم في تلك الأيام ، كاتباً تاريخ البشر قبل اختيار الله لابراهيم . وهذا التاريخ يتصف بعدة ميزات : إن الله أولاً لا يتخلى عن خليقته بل انه يظهر كعنايه الهية تدبر الأمور وتديرها كنظام كوني ، مترئساً الظواهر الطبيعية اللازمة لحياة الانسان ، ذلك لأن الانسان لم يكن قادراً على أن يتجاوز هذه المرحلة من الاعلان الالهي : اعلان الله عن ذاته في الكون .

ويظهر الله ايضاً في هذا التاريخ العام للبشرية كصبر ، أي أنه يقبل بالوضع الجديد الناتج عن الخطيئة ولا يقدم على إفنائه الى الأبد . لا يزيل الاثم والعنف والكذب والشر دفعة واحدة بل يصبر . يعطي مهلة ويعرف لماذا يعطيهـا . وعند افنائه الأرض بالطوفان لا يفنيها كلها بل يخلص نوحاً لكي يعيد به نظام العالم .

ثم مع نوح نصادف الميثاق الأول الذي هو نمـوذج ومثال لكل مواثيق الله التاليـة . ويقبل نوح من الله هـذا الميثاق الكوني : « وأبداً مـا دامت الأرض فالزرع والحصاد والبرد والحر والصيف والشتاء والنهار والليل لا تبطل » (تكوين ٨ : ٢٢) الله يضمن النظـام الطبيعي . إنه وعـد طبيعي فقط ولكنه يؤمن الشروط الخارجية لوعده الفائق الطبيعـة . فالله يؤكد لنوح وللبشرية بعده أن نظام الطبيعة لن يطرأ عليـه خلل رغم خطيئة الانسان . هذا هو الحد الاقصى الذي كان

يستطيع الانسان أن يتقبله بعد سقوطه[1]

ولكن كلام الله محبة كما رأينا والمحبة تريد خلاص الساقط. إن كلام الله خلاص. ولكن لا بد من مخاطب يفهمه ويطيعه، فلم يكتف الله بتأمين النظام الكوني بل خطا خطوة أعمق في اعلان ذاته للناس وهي إعلان ارادته نحو الكائن الروحي ارادة الخلاص للانسان. بعد اسبوع الخلق يبدأ «اسبوع الفداء». إنه خلق اسمى من خلق الكون بما لا قياس له. إن كلمة الله تخلق لذاتها الآن شعباً، جيلاً بشرياً ينبغي أن يعبر لا الارض بل الزمن والتاريخ ويستعد كإناء لقبول اعلان أعظم، الاعلان الكلي الذي هو التجسد، غاية الله أن يوجد شعباً أميناً عبر الزمن ليتقبل الخلاص.

وسفر التكوين ابتداء من الاصحاح ١٢ وحتى النهاية يروي لنا ذلك. وهذا كله، في هذه المرحلة الثانية (مرحلة الوعد) يعد به الله رجلاً يجده ويرتبط معه بتحقيق قصد الخلاص: هو إبراهيم، فالاصحاحات ١٢ إلى ٢٦ تروي تاريخ إبراهيم الذي يقبل الوعد والاصحاحات ٢٦ الى ٥٠ تروي تاريخ ذرية إبراهيم المباشرة: حروبهم وأمانتهم .. إلى أن تبدأ المرحلة التالية وهي الخروج.

---

١) انظر أنافورة قداس القديس باسيليوس التي تعرض بشكل جلي عدم تخلي الله عن خليقته بعد الخطيئه مباشرة بل انقاذه لها مرات عديدة وبشتى الاشكال بانبياء وعجائب وقديسين من كل الامم الى أن أعطاها الشريعة الخ ..

إن مرحلة الوعد تحتوي أفكاراً ثانوية عديدة تؤلفها وتساعدنا على فهمها :

١ – الإله الحي : يبدأ الاصحـــاح ١٢ من سفر التكوين بشكل غريب مفاجيء : « وقال الرب لابرام انطلق من ارضك وعشيرتك وبيت أبيك الى الارض التي أريــك » (تكوين ١٢ : ١ – ٢) . لقد اعلن الله ذاته حتى الآن ، ومنــذ سقوط آدم ، من خلال نظام الكون الطبيعي كما رأينا . ولكن الوثنية تقوم على الخلط بين الله وبين نتائج عنايته في الطبيعـة فلا تبلـغ الى الاله الحي .

أما الوصول الى الاله الحي فيتم عندما هو يبادر ويتكلم . ليس من خلال الخليقة بل مباشرة متوجهاً إلى ارادة الانسان . إله حي يتكلم ويتكلم متوجهاً للارادة . اله يختار رجلاً ويدعوه ليعلن به للكون تصميماً خاصاً « أنا اجعلك أمـــة كبيرة وأباركك وأعظم اسمـك وتتبارك بـك جميع أمم الأرض » . تصميماً ليس في نطاق الانتظام الكوني بل مختلفاً عنه ، تصميماً على حدة ، يعلنه من عنده اختيار وحرية . « لأني علمت أنه سيوصي بنيه وأهله بعده بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا بالبر والعدل حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به » (تكوين ١٨ : ١٩) إن الالهة الوثنية تمثل النظام الطبيعي ، أما الاله الحي فيعلن قصداً وسراً فائق الطبيعة .

٢ – الله يتوجه إلى ابراهيم بأمر ووعد : ان الانسان بعد السقوط كفّ عن قبول كلام الله وطاعته . أما الآن فابراهيم يتقبل أمراً ويطيعه . « انطلق من ارضك وعشيرتـك وبيت

أبيك .. » إن الله بهذا الامر ينزع إبراهيم من النظام الطبيعي ، ويبدأ يفرزه ويميزه عن الآخرين . إن أمر الله يقيم من يطيعه في نظام فوق طبيعي [1] . وانطلق ابراهيم وجماعته وأتوا أرض كنعان . « وتجلى الرب لابراهيم وقال لنسلك أعطي هذه الأرض . » (تكوين ١٢ : ٤ – ٧) .

لأول مرة في الكتاب تظهر غاية كلام الله وكنهه ، تظهر مجانية محبة الله : إنه يرينا أفق عطيته . « لنسلك أعطي هذه الأرض » . إن الله يعد ابراهيم وعداً مجانياً تماماً يكاد يكون جنونياً : إن ابراهيم شيخ في الخامسة والسبعين وهو وحيد وأعزل ، والكنعانيون يحتلون البلاد فكيف يمكنه أن يستولي على الأرض ؟ ولكنه يطيع متعلقاً بالوعد الالهي . إنه يكاد لا يعيش في الزمن بل يقيم في الابدية ممتداً الى الامام . هذا بدء تلك المغامرة العجيبة .

٣ – الوعد يصبح عهداً ، أعني يتخذ علامة منظورة تثبته وتختمه وتجعله ميثاقاً غير قابل للزوال . إن الاصحاح ١٥

---

(١) إن هذا يتم تدريجياً . نحن لا نبلغ رأساً الى السماء فلا بد من الاستعداد المناسب وإلا نسقط من أعلى السلم . يروى أن ثلاثة ربانيين من الشيوخ اليهود حاولوا الدخول الى الفردوس دون استعداد . فالأول ويدعى يهوذا دخل الفردوس ولم يكن منتبهاً: فخرج كما دخل والثاني جماليال دخل عن فضولية فاختل عقله . والثالث سيمون لم يكن متطهراً فلما اقترب دفع بعيداً والقي على الأرض . أما عقيبا الذي كان في طاعة واستعداد فدخل وخرج بسلام .

يروي لنا ذلك : « لا تخف يا ابرام : من يخرج من صلبك هو يرثك .. ويكون نسلك كنجوم السماء ... وأعطيك هذه الارض ميراثاً - اللهم بماذا أعلم اني أرثها ؟ » فيجري الله مع إبراهيم عقداً على حسب عادة الكنعانيين : يشطر إبراهيم بعض الحيوانات أنصافاً ويجعل كل شطر قبالة صاحبه ثم يقع على إبراهيم سبات[1] ورعب .. ويعبر تنور دخان ومشعل نار بين القطع ، فيبت العهد . « في ذلك اليوم بت الرب مع أبرام عهداً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض »[2] ولكن الله وحده يعبر بين القطع لا ابراهيم أي أن العقد هو ذو طرف واحد وأن الله هو ضامن الميثاق بالحقيقة ، وقد عبر كالنار التي تحرق ولا تحترق

هكذا في الاصحاح ١٧ يؤكد الله العهد أيضاً ويعطي علامة أخرى هي الختان (أنظر تكوين ١٧) .

٤ - وجه ابراهيم : إن شخص ابراهيم رمز حي يمثل الفريق الآخر ، الفريق الذي يخاطبه الله بأمر ووعد ويبت معه عهداً . وفي ابراهيم هذا نجد عدة نواح :

أ . الإيمان وهو الطابع الاقوى والاكثر ظهوراً إبراهيم أبونا في الإيمان ، إنه أول المؤمنين . إننا نرى الايمان محققاً في ابراهيم ومجسداً بقوة وفي مأساة بشرية تجعل منه رمزاً حياً

---

(١) إنه سبات غير طبيعي يرمز إلى ذهول .

(٢) إن عادة الكنعانيين أن يمر الفريقان بين القطع دلالة على قبولهما أن يشطرا مثل تلك الحيوانات في حال اخلالهم بالعهد .

للايمان إلى الابد . بإبراهيم يظهر طابع الايمان « الذهولي » ، الإيمان كخروج من الذات مغامرة ، كتنازل عن الذات والمنطق والبديهة وتعلق بالوعد وحده ، بالايمان وحـده ، بكلام الله وحده وحسب . بالايمان نعرف الله ونعترف بجميله واعترافنا بالله (إيماننا به) هو الطريقة الوحيدة لدينا لشكرنا ومكافأتنا له . وبالايمان أيضاً نسبح الله ، لأن التسبيح الأكثر كمالاً انما هو الطاعة الكلية ، وحيث توجـد الطاعة لا لزوم لتسبيـــح الشفاه . والايمان يظهر الله . حيث يوجد مؤمن هناك يسكن الله على الارض ويظهر للناس . منذ آدم لم يعد الله يسكن مع الناس ، والان بابراهيم وبفضل الايمان يعود الله إلى الارض إلهاً حياً . وبالإيمان استحق إبراهيم تحقيق إيمانه : استحق أن يرى الله .

إن الاصحاح ١٨ من سفر التكوين يروي لنـا كيف رأى إبراهيم الله عند بلوطـــة ممرى في رؤيا ذهوليـة هي نموذج للصوفيين . ويعقوب الرسول يقول « آمن ابراهيم بالله فحسب له ذلك براً ودعي خليل الله (يعقوب ٢ ٢٣) . هـذا وتغيير اسم ابراهيم من ابرام الى ابراهيم بعد إيمانه يرمز الى دخوله في حياة جديدة ومنذ ذلك الوقت يصير الإله الحي « إله إبراهيم واسحق ويعقوب » . إنها علاقة الاسم ، علاقة شخصية بين الله والانسان . وهو اسم غير الاسم الطبيعي ، اسم إرادة الله لابراهيم منذ الازل .

ب . الغربة : ان اختيار الله لابراهيم يجعله غريباً . عوض السعادة البشرية التي كان ينعم بها بين أهله وعشيرته ، ينتزع من وطنه : ليس له مكان في الأرض بل له الوعد فقط . أي

معني تحمل هذه الغربة ؟ إنها غربة آدم عن الفردس المفقود لقد طرد آدم من الفردوس لعصيانه كلام الله . أما ابراهيم فيعود يسير مجدداً نحو الفردوس ، إنه أول من يجد الفردوس في كلام الله . ليس الفردوس وراءه بل في كلام الله . الى الامـــام دائماً . إن ابراهيم يعبر التاريخ والارض الى الامام ، غريباً ، أميناً لوعد الله . وبهذا هو أبونا . ولذا يجب أن نحتفظ بتلك الامانة ، في البرية التي نسلك ، لنكون أبناءه حقاً . لقد نسي اليهود أن يظلوا منفتحين للإيمان ، لكلام الله ، فانغلقوا وأقاموا في الأرض . إنهم أولاد ابراهيم بالجسد لا بالإيمان .

ج . المحنة : « وكان بعد هذه الأمور أن الله إمتحن إبراهيم ... » (الإصحاح ٢٢ من سفر التكوين وقصة ذبيحة اسحق) ، بعد الإيمان والغربة تأتي المحنة لزامـاً . لا يمكن العيش بالإيمان دون محن ، ذلك لأن الإيمان جهاد . الإيمان يسلخنا من الوضع الطبيعي ، ولذا فالوضع الطبيعي يمتحننـا . أما التغلب على المحنة فيتم بالضبط بالتعمق في الإيمـان والتأمل فيه بقبول كل شيء في الإيمان . الله يدعو إبراهيم فيجيب : « هاءنذا يا رب » ، إنها حضرة أبدية أمـام الرب . فيقول له الله : « إنطلق من أرضك » ، إنها سفرة أبدية نحو الرب . إن كل مصير إبراهيم بين هـــاتين العبارتين « إنطلق » ، و « هاءنـذا » ، في ذلك الصليب المؤلف من اتجاه للمسـير والانطلاق وآخر للثبـات والرسوخ[1] . وأمر الله إبراهيم أن

---

(١) إن إيليا الغيور سيردد أيضاً « حي هو الله الذي أنا واقف أمامه » .. وموسي في رؤيته لله يعلمنا أن شرط المسير إنما هو الإقامة في نقرة الصخرة .

يأخذ ابنه وحيده الذي يحبه ، إسحق ، ويمضي إلى جبل موريا ويصعده هناك محرقة (إن جبل موريا هو الموضع الذي يشاد عليه الهيكل ويحكم فيه على يسوع) . فيسير إبراهيم بإسحق ثلاثة أيام (كذلك سار يسوع مسيرة ثلاثة أيام نحو أورشليم قبل الصليب ...) . إن إسحق ليس ابناً طبيعياً كإسماعيل بل هو ابن الموعد ، ولذا على إبراهيم أن يضحي به لله ليناله منه مجدداً . هكذا يعود فيحصل عليه بمثابة رسم للقيامة من بين الأموات (أنظر عبرانيين ١١ : ١٧) . تلك هي نتيجة المحنة وسيرينا الكتاب أن جميع الآباء ابتداء من إبراهيم سيجاهدون مثله « ضد الله » ويخرجون من المعركة محطمين ولكن مباركين . نعم ليس الإيمان راحة وسلاماً بحسب ما يفهمه العالم .

د . البركة : « وأباركك ... وتكون بركة وأبارك مباركيك ... وتتبارك بك جميع عشائر الأرض » (تكوين ١٢ : ٢ - ٣) . مع ابراهيم تبدأ سلسلة جديدة ، سلسلة من البركة تنتهي الى التجسد . ما هي البركة ؟ إنها الفعل الخارجي لمدلول صالح إيجابي يتضمن التبني . ولكنها أيضاً أعمق من ذلك : انها بمثابة حضرة هي حضرة الله . حضرة الله هي التي تبارك وتعظم وتخلص . ان بركة الله لابراهيم : « أباركك وأعظم اسمك .. » تعني أنه تقبل حضرة الله . وهذه الحضرة تستمر في نسل ابراهيم في سلسلة تصل الى تجسد الله وحضوره بالذات . لم يكن الآباء يعرفون ما تنقله هذه البركة (إننا نرى في بركة يعقوب لحفيديه إفرائيم ومنسى بشكل صليب رسماً سابقاً لسر البركة) . ولكنها تتحقق عند بشارة

الملاك للعذراء مريم : « مباركة أنت في النســاء ومبارك ثمر بطنك ... عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا . » إنه تحقيق وعد الله لابراهيم . والتحقيق يصير كاملاً يوم الصعود وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وصعد الى السماء (لو ٢٤ : ٥١) فرجعوا الى أورشليم بفرح عظيم (لو ٢٤ : ٥٢) : ذلك لأن الله قد صار معنا الى الأبد . ليست الآن بركة ملاك الرب (كما أخذها يعقوب) ولا بركة أحد الآباء (كبركة يعقوب لابني يوسف ، بل بركة الله نفسه ، وبركة الله تبقى إلى الأبد . الله يباركنا وهو حاضر ببركته هذه في الكنيسة وفي العالم .

الفصل الرابع

العهد

نقصد به العهد الذي بته الله مع شعبه في سيناء ، وهي مرحلة بدء تحقيق وعد الله في ميثاق يرتبط به . هذه المرحلة يرويها سفر الخروج ، وهو سفر أساسي في الكتاب المقدس ، بل بمثابة موجز لكل معنى الكتـــاب . إن حادث خروج إسرائيل من مصر أساسي جـــداً في تاريخهم ، اذ في الخروج يعون أنفسهم كشعب الله ، وهم يتجهون اليه دائماً كإلى مصدر إسرائيل وينبوعه . وآباء الكنيســة بدورهم ، يرون في سفر الخروج ، الرسم الأكثر نقاوة وشفافيــة لسر المسيح ، وهو السفر الذي تأمــلوا فيه أكثر من كل الأسفــار . ذلك لأن الخروج يطابق وضع كل نفس مسيحية ، ويبشر بأسرار المسيح بأكثر قوة .

إن العهد يقوم في خط الوعد عينه ولكن في طور آخر .

ان الكتاب المقدس في جميع مراحله عبارة عن اتجاه واحد نحو التجسد . ففي كل مرحلة يعلن لنا الله شيئاً واحداً : هو الشيء عينه ، خلاص الانسان . لقد رأينا المحبة في الخلق ، ثم قبول المحبة والطاعة لها في الوعــد ، والآن سنرى الأمر عينه ولكن بصورة أقرب الينا ، وكأن في كل مرحلة خلق جديد ، بل خلق دائم للنفوس وللبشرية : « أبي يعمل وأنا أيضاً أعمل » .

إننا نلاحظ ، بصورة عامة ، ثلاث نقاط أساسية في سفر الخروج :

١ – العهد موجه الى جميع الشعب : كان الوعد موجهاً الى انسان واحد ، اذ كان لا بد من أن يبــدأ انسان واحد ويسلك طريق الفردوس المفقود ، فقام ابراهيم ، عوض آدم المختبيء ، وانطلق . انطلق لأن الفردوس هو في الأمام ، كما رأينا ، انطلق نحوه ، ولكنه كان لوحده . نعم كان يتوقع بالإيمان أن يصير شعباً عظيماً ، ولكن بناء على وعد عام . « تتبارك بك كل الأمم » . ولم يرَ ابراهيم من نسله الا اسحق فقط . أما الآن فالشعب كله يعقد ميثاقاً مع الله . الشعب نفسه يصير كشخص واحد ويسمى « اسرائيل » . ان العهد ينقل الوعد الى صعيد كامل شامل .

٢ – العهد يعلن كلمة الله ككلمة فاعلة وليس فقط مقولة فالله الان هو الإله الذي ينقذ ويخلص ويقهر الأعداء ، وسيبقى تاريخ اسرائيل مطبوعاً بهذا الإعلان الجديد . الله رجل حرب ، والخلاص أيضاً حرب ، وان كانت غير منظورة ، والله هو

الذي يحارب ، إنه قوي يسحق الأعداء ، ويحارب عن شعبه لأن شعبه أضعف جميع الشعوب : إنه شعب بدوي قائم بين شعوب ممالك كبيرة . ولكن قوتهم هي هذه بالضبط إن الله هو الذي يحارب عنهم ، إنه « رب الجنود » ... ولما يحاول إسرائيل أن يجمع جيشاً ، متكلاً في ذلك على ذاته ، يغلب ، نعم للعدو خيل ، ولكن لله خيل أسرع (أنظر اشعياء ٣١ : ١ و ٣) .

٣ - العهد خطوة جديدة نحو الاتحاد بالله : في مرحلة الميثاق يتبنى الله شعب إسرائيل ، فيصبح كل الشعب إبناً لله ليس باللحم والجسد بل بالتبني الاختياري الحر . إن الإله الحي يختار مجاناً (دون أي مقابل يضاهي هذا الاختيار) ويلد روحياً من يختار . وفي مرحلة العهد يخطب الله أيضاً شعب اسرائيل لنفسه ويرتبط به . إن الله في محبته يتنازل ليتحد بالناس ، ولا عجب لأن سر الثالوث وراءه . الله الآب يتبنى ، ولكنها أيضاً خطبة مع الابن ، وسيكون الزواج ، الاتحاد الكامل ، في المسيح الختن ، الإله المتجسد : « هكذا قال الرب : تذكرت لك مودة صبائك محبة خطبتك إذ سرت ورائي في البرية في أرض لا زرع فيها . إن إسرائيل قدس للرب وهو باكورة غلته . كل الذين يأكلونه يأثمون ويأتي عليهم الشر يقول الرب » (ارميا ٢ : ٢ - ٣) . أما فكرة البنوة فنراها في (هوشع ١١ : ١) « إذ كان إسرائيل صبياً من مصر دعوت ابني » . والفكرتان تتحققان في الرب يسوع .

إلى جانب هذه النقاط الأساسية الثلاث هناك في مرحلة العهد

أ. اسرائيل في العبودية المصرية ونرى فيها :

(١) **الاضطهادات** : لأول مرة يواجه اسرائيل الاضطهادات وستكون هذه بعد الآن نصيبه . ينبغي للشعب المختار أن يفهم ان إختيار الله له ليس مبعث راحة بل صعوبات وآلام يسببها له الاعداء . والاعداء هنا هم المصريون : إن مصر تمثل ملكوت الشر وفرعون صورة لأبليس الخصم . فيرهقون الاسرائيليين بالأشغال الشاقة وينغصون حياتهم ويأمرون القابلتين العبرانيتين بقتل مواليدهم الذكور الخ .. ولكن الاضطهادات تتضمن فكرة أخرى : « وتنهد بنو اسرائيل من خدمتهم وصرخوا وصعد صراخهم الى الله من الخدمة فسمع الله الى بني اسرائيل .. » (خروج ٢ : ٢٣ – ٢٥) . هذا وضع كل نفس تتلمس الله . من أعماق الأسر والألم تنبعث الصرخة حقاً الى الله . إن الله لا ينسى عهده وإنما يريد أولاً أن يصرخ شعبه اليه ويناديه

(٢) موسى : يظهر موسى في عبودية مصر ، وتشير طفولته العجيبة الى دعوة الله له . من يختار الله لانقاذ شعبه ؟ إنه يجد موسى ومنذ ولادته يميزه بحماية خاصة . فموسى مثل نوح قديماً ينتشل من المياه ، ومهد موسى يقابل سفينة نوح . وفي قبول موسى لدعوة الله وتركه لقصر فرعون نجد أيضاً أفكار موقف إبراهيم .

(٣) نفي موسى وإعلان إسم الله له : ويقتل موسى الرجل

المصري ويهرب الى ارض مدين (خروج ٢ : ١١ — ١٥) . لقد أقدم موسى على ذلك من تلقاء نفسه وقبل الآوان ولم ينتظر أمر الله لذلك يجب أن يهرب ويقضي أياماً كثيرة منفياً في مدين . ثم يعلن يهوه ذاته لموسى في جبل حوريب (سيناء) في العليقة الملتهبة وغير المحترقة (خروج ٣ : ١ — ١٧) « نزلت لأنقذ شعبي من أيدي المصريين . تعال ابعثك إلى فرعون » : إذن ليس الانسان ينقذ بل الله . إن حادث العليقة الملتهبة أساسي جداً يدخلنا في سر الله ، إنه ظهور لله (Theophanie) وعلامة لحضرته . النار غير المادية تمثل نار اللاهوت : « فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة » . هذا اعلان عميق ، خطوة جديدة نحو التجسد ، رسم للعذراء مريم ولتجسد الله في بطنها . ثم هذا الاعلان المنظور يكتمل باعلان الكلمة : الله يتكلم من وسط العليقة منادياً « موسى موسى » فيجيب موسى « هاءنذا » .

لقد رأينا في ابراهيم هذه الحضرة الثابتة أمام الله حين أمره بذبح ابنه اسحق . كان ابراهيم قد خرج من ارضه مطيعاً الله في الانطلاق والمسير . أما عند موسى ، فنصادف أولاً الا « هاءنذا » ثم يأمره الله بالخروج من مصر فيطيع حينئذ ويستسلم . ولكنه لا يستسلم بادىء الأمر بدون تردد وخوف إنه يطلب ضمانات ويسأل الله عن اسمه ، فيجيب الله « أنا هو الكائن .. كذا قل لبني اسرائيل الكائن ارسلني اليكم » .

إن الله هنا يقبل أن يسمي ذاته ، وهذا شيء هائل . ان الإسم عند العبرانيين يرمز لأعمق شيء في المسمى ، فعندما يسمي

آدم الكائنات فإنه يعطيهم الكيان تقريباً وكأنه عامل مع الله ومعاون له في الخلق ، ان الأسم يعلن « جوهر » الكيان ، وعندما يقول أحد اسمه للآخر يدخل معه في علاقة خاصة : أصبح يسمى ، فيرتبط بالآخر ، (ان أنت عرفت اسمي امكنك أن تناديني وأنا مضطر أن أجيب ..) أما الله فهو سر يفوق كل معرفة وإدراك . ولكنه عندما يعلن اسمه لموسى يدخل موسى في علاقة مع الله . وبالتالي فأن بداية العهد هي في اعلان إسم الله . ويسمي الله نفسه قائلاً : « أنا هو الكائن » ذلك لأن الله لا يستطيع أن يحدد ذاته بكائن آخر غير نفسه ولكن هناك تفسيراً آخر وأعمق لإسم الله الذي اعلنه لموسى .

لقد كتبت التوراة الاسم في أربعة أحرف ساكنة فقط (يهوه I. H. v. h.) مكتفية بها للتعبير عن حضرة الله الرهيبة . إن الاسم البشري حضرة أيضاً ولكنها حضرة بشرية لا فعالية لها بينما إسم الله فعال . فكان اليهود يخشون اسمه ولذا اختصروه بحروفه الساكنة [١] . فالأحرف الاربعة يمكن قراءتها بما معناه « أنا هو الكائن » أو « أنا الازلي » وأيضاً « أنا من سيكون » أو « أنا من يأتي » : فيكون في هذا تلميح لكل تدابير الله الآتية حتى مجيئه الثاني . إننا نقرأ في سفر الرؤيا : « أنا الألف والياء ، البداية والنهاية ،

---

(١) إن كتبة العهد القديم كانوا عندوصولهم الى إسم يهوه يستعملون ريشة خاصة وحبراً خاصاً ويلفون يمينهم بثوب خاص ويتلون صلاة خاصة ثم يكتبون الإسم دون النظر اليه .

الإله الكائن والذي كان والذي يأتي » (رؤ ١ : ٨) . وبالتالي فان اعلان الله في العليقة يخفي سر التجسد ، سر الله الذي سيأتي .

ب. الفصح : إنها المرحلة العظيمة ، قلب العهد القديم ، نقترب فيه أكثر الاقتراب من سر العهد الجديد . سر الفصح يعني سر التحرير والعتق والخلاص . وهذا كله شفاف جداً للفصح الحقيقي ، المسيح ، « فصحنا » (١ كو ٥ : ٧) . ان الفصح يطبع اسرائيل بطابع ابدي فيبقى حياً في ذاكرته وكيانه : الله يخلص شعبه . انه يخلصهم مادياً من عبودية تاريخية معينة هي عبودية المصريين ولكنه أيضاً رسم وظل لفصح أكثر نوراً ، لفصح أبدي . ذلك لأن الشعب سيقع في عبوديات أخرى وتحت نير شعوب أخرى غير المصريين . ونرى في مرحلة الفصح التدرج التالي

(١) الضربات العشر وتعني تدخل الله المتتالي : ان فرعون يرفض إجابة طلب موسى عبدالله للخروج من مصر ولكن هذا لا يمنع صبر الله بل هو يعطي علامات عديدة لإرادته قبل إنزال القصاص النهائي . أن الضربات العشر بمثابة علامات من الله للمصريين . ولكنها أيضاً علامات لليهود إذ أنهم بالرغم من تألمهم من نير المصريين لم يكونوا راغبين حقاً في الخروج من مصر : « فكلم موسى بذلك بني اسرائيل فلم يسمعوا لموسى لضيق أرواحهم وعبوديتهم الشاقة » (خروج ٦ : ٢ — ٩) .

كثيراً ما يجري هذا معنا : عندما نكون في أوقات التعب سكارى ومثقلين بالخطيئة يبدو لنا الاصغاء لكلام الله مستحيلاً ،

بينما هو ينتظر منا اشارة فقط لينهضنا . اننا نبقى في فترات الجفاف هذه لكثرة الضيق ولا نريد أن نخرج . هذه فترات قاسية حقيقة نمر فيها في الليل واليأس ولكنها مباركة ، إذ فيها يطلب الله منا أن تأتي عملاً كله منا تقريباً ، في أوقات الراحة والتعزية نحن كالاطفال نسير بنعمة الرب ولا ندري ، ولكن عندما يفطمنا يخرجنا من الطفولة (ان ابراهيم صنع عيداً عندما فطم ابنه إسحق) . أيام الطفولة سعيدة ولكنها قصيرة ، فلا بد ، بعد مدة ، من السير لوحدنا ، لا بد من العزم والتصميم . وبعدئذ تثبتنا النعمة فنصبح كالأطفال : لا اطفالاً بل كالاطفال كما يقول الرب . نكتسب النضج والتمييز ولكن نبقى متضعين ، نصير محركين من الله كالاطفال ولكن واعين لذلك . ان ضربات مصر إذن تجعل موسى والشعب أيضاً يقررون الخروج سامعين لكلام موسى ان القديس غريغوريوس النيصصي يذكر هنا أن موسى لم يصبح صالحاً لمخاطبة الشعب وقيادته إلا بعد أن تقوى ورأى نور الله ، وقد اقتضى ذلك مدة طويلة من التأمل والنسك هي الاربعين سنة التي قضاها منفياً في مدين .[1]

(٢) الاحتفال بالفصح ان بني اسرائيل يستعدون الآن

---

١) ان العدد ٤٠ يرمز الى النسك والتوبة كما رأينا : أربعون سنة يقضيها موسى في مدين ، أربعون سنة يقضيها الشعب في البرية ، أربعون يوماً يقضيها يسوع في الصوم في البرية ، ولذا ٤٠ مرة يا رب ارحم في الخدم الكنيسة .

للخروج من مصر ويحتفلون بالفصح . يأكلون الحمـل الفصحي أثناء الضربة الأخيرة التي يضرب بها الله أبكار المصريين فيموتون (خروج ١٢ : ١٢). أما الاسرائيليون فتحفظهم علامة الدم على عتبة ابوابهم العليا ، التي هي رمز للصليب (ونرى علامة الصليب أيضاً في حزقيال ٩ : ٤ علامة نجـــاة وخلاص : « ارسم تواء (T) على جباه الرجال .. ») ففي الفصح إذن فكرة أساسية هي فكرة « العبور » ، عبور الملاك لابكار المصريين ونجاة الاسرائيليين منه .

ثم الفصح هو « العبور » أيضـاً أو الخروج من مصر في تلك الليلة . انهم يأكلونه في هندام سفر : « أحقاؤكم مشدودة ونعالـكم في أرجلـكم وعصيكم في أيديـكم وكلوه بعجلة انه فصح للرب » (خروج ١٢ : ١١) . وهكذا يعود إسرائيـل الى وضعه الاول الاساسي : انه مسافر لا يتوقف . أما توقفه في أي مـكان فيعني العبودية في ذلك المكان « أيهـــا الاحباء اسألـكم كالغرباء والنزلاء .. » (١ بطرس ٢ : ١١) . فالفصح إذن يذكر العبرانيين بفصح أعمق هو فصح بقائنا مسافرين على هذه الارض ، وهذا ما كان اسرائيل قد نسيه . ولكن الى أين يجب أن يسير ؟ يجب أن يصنع إرادة الله ، انه الشعب الذي انطلق تقوده كلمة الله إلى حيث تقوده . علينا الا ننسى ذلك أبداً .

ان أرض الميعاد التي يتجه اليها هي في سبيل خدمة الرب . المسافر هو خادم للرب ، فيجب أن يكون دائماً مستعداً للخدمة (ان الله قاصص فرعون لأنه قاوم القصد الإلهي وليس فقط لأنه عذب الشعب المختار) . ولذا يعيـــد الفصح كل عام :

« ويكون هـذا اليوم لكم ذكراً فتعيدونه عيداً للرب مدى أجيالكم فريضة أبدية » (خروج ١٢ : ١٤) ، حتى يذكر الجميع أنهم أداة لله ، عصيهم في أيديهم ، على أهبة السفر .. ولكن بني اسرائيل لم يتقيدوا بذلك فكانوا يحتفلون بالفصح بالفم فقط بينما القلب غير فصحي لأنه قد توقف على هذه الارض

وأخيراً الفصح ليس فقط النجـاة والعبور هنا يقترب إسرائيل من أوج دعوته ، لأن الله يرجوه أن يفهم أن عيد الفصح إنما هو رسم لعيد آخر ، لفصح كلي هو العبور من الزمن الى الأبدية . شعب الله شعب مسافر ينتظر الأمر الأخير وهو ترك الحياة الارضية من أجل الحياة الأبدية ، شعب ينتظر العلامة الجديدة ، الخروف الفصحي الحقيقي : « المسيح فصحنا » (١ كور ٥ : ٧) .

(٣) عبور البحر الأحمر ، الفصح يتم : فيرتل موسى وبنو إسرائيل ترتيلة الظفر : « أسبح الرب لأنه قد تمجد ، الفرس وراكبه طرحها في البحر ... » الاصحاح ١٥ من سفر الخروج.) ، الترتيلة التي نرى شبيهتها في المزامير « احمدوا الرب الذي ضرب المصريين مع أبكارهم . وأخرج إسرائيل من بينهم . بيد مقتدرة ، وساعد رفيع .. هللويا » (مز ١٣٥ : ١٠ — ١٢) . وأيضاً في سفر الرؤيا : « يسبحون تسبيحة عبد الله موسى وتسبيحة الحمل قائلين عظيمة وعجيبة أعمالك أيها الرب الإله القدير .. » (رؤيا ١٥ : ٣) إن الكتاب المقدس بمثابة سمفونية تتحقق ترانيمها في المسيح وفي الأبدية .

إن فكرة الفصح تمت إلى فكرة الأبدية ، إذ ان الفصح رسماً للعتق الأبدي .

ج السير في الصحراء : هذه مرحلة تكوين الشعب المختار (Gestation) . كما يتكون الطفل في بطن أمه هكذا يتكون الشعب في الصحراء . لا يمكن للنفس أن تولد من الله بدون تأديب وعذاب . هذه سنة عامة لا تقبل استثناء تنطبق على جميع الذين يدعوهم الله لخدمته . لا بد من صحراء ، من ليل ، من جفاف . على مثال الرب يسوع نفسه (٤٠ يوماً في البرية ، ليلة الجسمانية حيث ترك وحده دون الآب) . أما الأفكار الثانوية في هذه المرحلة فهي :

(١) المحنة أو الاختبار : إن الحياة في الصحراء من شأنها أن تمتحن الشعب ومدى تعلقه بارادة الله وحدها . في الصحراء فراغ كلي مناسب لولادة جديدة . أما العبرانيون فكانوا جيلاً متردداً ولذا عند أول صعوبة صاروا يفكرون بمصر وبالعودة إلى مصر [١] .

وهكذا نحن ، فلأقل حرمان أو عذاب نتذمر ونتمرر ونتمرّد . إنها مرحلة التقدم في حياة الإيمان ، وهذا ليس بسهل . إن النفس بعد خروجها من مصر تشعر بنوع من اليأس . إنها ترى الأعداء يهجمون عليها ، ولكن هذا اليأس

---

(١) إن شعب الله يقضي أربعين سنة في البرية لماذا أربعين سنة؟ حتى يزول الجيل المتردد .

ينقذها ، إذ تفهم عجزها وتتجه نحو الله فيساعدها . هذا ما يجب أن تعتاد عليه النفس في سيرها في الصحراء في البداية تعود بها غرائزها إلى الطعام المصري ، إلى طلب معونة العالم وتعزياته . إنها لم تعتد بعد أن تعيش من الله وحده ولا بد من الجهد للوصول إلى ذلك . فنراها تيأس مرة أولى وثانية وثالثة . صعوبة المرور ، فقدان الماء ، فقدان الخبز . والإيمان هو بالضبط ذلك الجهد الذي تترك النفس بموجبه المعونة البشرية لتتجه نحو الكلمة . والكلمة ينجدها دائماً : فهو يقودها في الصحراء ، وهو الصخرة التي تنفجر منها المياه ، وهو المن الذي ينزل من السماء .

وتتوالى التجارب والتعزيات حتى تزول تدريجياً الأفراح الحسية ونعتاد على فرح جديد هو « حلاوة الله »[1] .

وفي فكرة المحنة هذه فكرة البقية أيضاً : « آباؤنا كلهم أكلوا طعاماً روحياً واحداً . وكلهم شربوا شراباً روحيـــاً واحداً .. » (١ كور ١٠ : ٣) ، ولكنهم لم يثبتوا جميعهم، بل الاختبار غربلهم ، ففني المتمردون ولم يبقَ إلا بقية . إن حادثة العجل الذهبي بليغة في هــذا المضمار . إن المرء يعجب كيف أن هارون نفسه لم يصمد في هذه المحنة ، هارون رفيق موسى عينه ، الرفيق الذي رأى بعينيه كل شيء ، رأى الله

---

(١) انظر كتاب « سيرة موسى » للقديس غريغوريوس النيصصي المقدمة صفحة ٣٨ (Sources Chrétiennes) .

ورأى العجائب في مصر ، ورأى العصا تفرع . وبالرغم من كل ذلك ، لما طال غياب موسى عنه في الجبل ، وانقلب عليه الشعب كله ، إنقاد لهم وصنع لهم العجل الذهبي ليعبدوه بدل الله ! والمؤسف أننا جميعاً مثل هارون ، ننجرف في تيار الناس !

(٢) التكريس . وفي الصحراء يكرس الشعب لله : « والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي ، فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب وأنتم تكونون لي مملكة أحبار ، وشعباً مقدساً » (خروج ١٩ ٥ — ٦) . في التكريس يفرز الإسرائيليون لله . ولكن هذا لا يكفي : يجب أيضاً أن يدنو الله ويعطي ذاته للمفروزين له . فيرش موسى الشعب بدم الذبيحة التي قدمت لله وقبلها (خروج ٢٤ : ٨) . الذبيحة صارت إلهية والله نفسه يُعطى للمكرسين إنها رسم لذبيحة المسيح الكبرى .

(٣) حضرة الله الله الآن يصبح قائداً لشعبه : « فغطى الغمام الجبل ، وحل مجد الرب على جبل سيناء ، وصار منظر مجد الرب كنار آكلة في رأس الجبل » (خروج ٢٤ : ١٥ — ١٧) . الله هو القائد لا غيره ، وهذا يقابل البركة التي بارك الله بها إبراهيم . إن البركة حضرة إلهية ، كما رأينا ، فتستمر هذه البركة بشكل ملموس : بشكل الغمام والنار وتابوت العهد الخ .. وكل هذا ينتهي إلى اليوم الذي يقول فيه الملاك لمريم : « مباركة أنت في النساء ومباركة ثمرة بطنك » . البركة تتجسد ، تصبح عمانوئيل (« الله معنا ») . لنذكر هنا شيئاً هاماً كان الله في البرية حاضراً

مع شعبه « ثم غطى الغمام خبـــاء المحضر ، وملأ مجد الرب المظلة .. لأن غمام الرب كان على المظلة نهاراً وكانت النار في الغمام ليلاً » (خروج ٤٠ : ٣٤ و ٣٨) .

إذن مجد يهوه يرافق الشعب في المظلة . ان مجـد الله هو حضرة فى المظلة (بالعبرية « شكينة ») . إن الشكينة هي مسكن المسافر والنزيل ، ولذا تردد الأنبياء في بناء الهيكل . والآن « الكلمة صار وحل فينا » : باليونانية Kataskéhosen أي سكن في المظلة . فيسوع الآن يقوم مقام التابوت والمظلة والهيكل ، « فيه كل ملء اللاهوت جسدياً . » ولذا قال : « سأقيم هـــذا الهيكل في ثلاثة أيام . » ولذا يقول سفر الرؤيا : « ولم أرَ فيها – أورشليم السماوية – هيكلاً ، لأن الرب الإله القدير والحمل هيكلها » (رؤ ٢١ : ٢٢) .

د . إعطاء الشريعة : إن الله يعطي الشريعة للشعب في الصحراء في جبل سيناء . وفي هذا ثلاث أفكار ثانوية :

(١) التبني والخطبة : إن عطية الشريعة للشعب بموجب ميثاق جبل سيناء تعني ان الله يتبنى الشعب ويخطبه لنفسه بغية اتحاده به كلياً يوم التجسد . إن تدبير الاب والابن ظاهر كما شرحنا ذلك آنفاً وفيه تهيئـــة وانتظار للعهد الجديد : « وآخذكم من بين الأمم .. وأنفح عليكم ماء طاهراً فتطهرون .. وأعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل في أحشائكم روحاً جديداً .. وأجعل روحي في أحشائكم » . (حزقيال ٣٦ : ٢٤ – ٢٧) : إنها رموز المعمودية والمناولة .

(٢) تسامي الله : لا بد أولاً للشعب من الاغتسال والتطهر

للاقتراب من جبل سيناء ، وعلى موسى أن يكون نقي القلب وأن يخلع نعليه ، أن يترك كل الأهواء والاهتمامات ليستطيع أن يرى الله . إن موسى يرى الله ، إنه خليل الله مثل ابراهيم ، ولكن الكتاب يذكر أن موسى رأى قفا الله لأن وجهه لا ُيرى . أما قول الكتاب بأن موسى كان يكلم الله وجهاً لوجه (خروج ٣٣ : ١١ و ٢٣) فيعني مباشرة بدون واسطة وليس فيه تناقض . إن من يقترب من الله يجب أن يغطي وجهه (خروج ٣٤ : ٢٩ – ٣٣) ، فإعلان الله هو تغطية في الوقت نفسه ، إذ يكلم موسى الشعب ووجهه مغطى ، فالإعلان ليس كلياً ، بل يكشف أجزاء فقط من النور غير المخلوق . إن إيليا أيضاً ستر وجهه عندما شاهد الله . ولذا فموسى وإيليا يوم تجلي الرب على طور ثابور يشهدان عن مصدر النور الذي أخذاه . هذا ويلاحظ هنا ، أن فكرتي الخروج والفصح مرتبطتان في كل الكتاب ، فكلما يعلن الله عن ذاته يعبر : يعبر بين قطع الحيوانات في تقدمة إبراهيم ، ويعبر أمام موسى في نقرة الصخرة ، ويعبر أمام إيليا كنسيم لطيف . وفي التجلي يتكلم موسى وإيليا عن خروج الرب (لو ٩ : ٣٠ – ٣١) ويعني موته وقيامته ، الفصح الحقيقي .

(٣) الشريعة ومعناها الروحي : إن أهمية الشريعة التي يعطيها الرب لموسى في سيناء قائمة في كونها كلام الله ، من صنع الله . هذه قيمة إيجابية . ثم هي تكشف صبر الله : فالله باعطائه الشريعة يسلم ذاته للشعب ، اذ يترك مصير كلامه للشعب .. والشريعة أيضاً « مؤدب » للشعب إلى أن يأتي المسيح . ولها معنى سلبي أيضاً ، وهو تذكير اسرائيل بغياب الله : الشريعة تكشف

الخطيئة ، لا تقتل ، لا تزن ، لا .. لا .. وعندما يعطي الله ذاته نعتق منها . ان سفر تثنية الاشتراع ، يسمي الشريعة « شاهداً على الشعب » (٣١ : ٢٦) ، انها تدين بدلاً من أن تعتق . ففصح الخروج ليس بعد كاملاً ، ليس أبدياً . والشريعة موجهة دائماً لأناس غير مستعدين تماماً لسماعها وقبولها : « والان يا إسرائيل إسمع .. إسمع يا شعبي فأشهد عليك .. » (تثنية ٤ و ٥ ..) فيجب تحطيم صمم الشعب كي تدخل الشريعة اليهم .. أما عند تجسد الكلمة فلا حاجة بعد للقول « إسمع » ، لأن « ناموسك هو في وسط قلبي » يقول الرب (مزمور ٣٩ : ٧) . فالشريعة اذن مرحلة تتم في المسيح ككل مراحل العهد القديم . « اني لا أنقض عهدي معكم الى الأبد » (قضاة ٢ : ١) : هذا القول وصف لوضع اسرائيل بعد الخروج ، ان عهد الله لا ينقض لأن الله انما يراه في تحقيقه ، في تجسده .

الفَصْل الخَامِس

الملكية او ارض الميعاد

وصلنا في المرحلة السابقة إلى عتبة أرض الميعاد وننتقل الآن الى مرحلة دخولها وقيام الملكية فيها . لقد مات موسى قبل دخوله أرض الميعاد وهذا لا يخلو من معنى : إن في كل الكتاب فشلاً ظاهراً (بل حقيقياً) لخدام الله . هؤلاء يقبلون وعد الله ويرتبطون به ويخدمونه دون تحفظ ويحتملون المحن والمشقات من الناس والله . ثم ينتهون الى فشل ظاهر . إن ابراهيم لم يقم في أرض الميعاد الذي وعده الله بها ولم يقتن فيها إلا قبراً [1] . ولكن اسحق ابنه هو الذي سيقيم فيها . وموسى

(١) لقد سار مسيرة ثلاثة أيام ليصل الى جبل موريا في أرض كنعان ، حيث قدم ابنه إسحق ذبيحة .

الذي لبّى نداء الله وقاد شعبه واحتمل كل شيء ، لم ينـل المكافأة هو ، بل غيره سيدخل أرض كنعان . موسى خادم الله لا يرى ثمرة اتعابه . كذلك الأنبياء . داود مثـلاً لم يبن الهيكل بل ابنه سليان . الانبياء يرون بالإيمان ويعرفون ولكنهم لا يرون في الواقع . الرسل أنفسهم رأوا وسمعوا ولمسوا الكلمة الصائر جسداً ولكن الواحد يزرع وآخرون يحصدون ، فمن الناحية البشرية الرسل فشلوا ظاهراً . قتـلوا وسحقوا . وهم أحياناً يئنون ويصرخون . « أيها الغلاطيون الاغبياء من الذي سحركم حتى لا تطيعوا الحق . » (غلا ٣ . ١) .. سألت الرب ثلاث مرات أن تفارقني (شوكـة في الجسد) » .. (٢ كور ١٢ : ٨) هناك إذن تفاوت بين صعيد الإيمان وصعيد التحقيق عبيد الله لا مجال أمامهم سوى التضحية : إيمان وغربة ومحنة . وأيضاً بركة ، ولكن البركة مخفاة عن نظر النـاس . فبولس الذي رفـع الى السماء الثالثـة اعتبر كنفاية عند الناس . هنا إذن صعيدان : الصعيـد المنظـور : بركة . ان هذا كله رسم وتكرار مسبق لسر الصليب لقد فشل الرب في نهاية خدمته على الأرض ، لم يرد أن ينزل عن الصليب ليقنع الناس ، لكنه احترم حرية الإنسان ، وبهـذا الاحترام الذي أتاح شهادة المؤمنين وصليبهم الدائم واستشهادهم انقلب فشل الرب الظاهر الى ظفر خفي ، ظفر لا يرى في نظر العالم ولكنه بديهي في نظر المؤمنين . « ها نحن تركنا كل شيء وتبعناك .. الحق أقول لكم أنه ما من أحـد ترك بيتاً أو إخوة .. الا يأخذ مئة ضعف .. بيوتاً واخـوة ... مع اضطهادات . أما في الدهر الآتي فحياة أبدية » (مر ١٠ :

٣٠) . والآن نعود لبني اسرائيل وهم يدخلون أرض الميعاد بقيادة يشوع بعد وفاة موسى إننا نجد في هذه المرحلة أيضاً عدة أفكار أساسية :

١ – أرض كنعان : أمانة الله وعدم امانة البشر

أ . الاستيلاء على أرض كنعان تكملة للفصح الذي بدأ في مصر ، وعون الله لشعبه يستمر . فالله يخاطب يشوع قائلاً : « ان موسى عبدي قد مات والان قم فاعبر هذا الاردن أنت وجميع هؤلاء الشعب الى الارض التي أنا معطيها لبني اسرائيل .. تشدد وتشجع ، لا ترهب ولا تفشل لأن الرب إلهك معك حيثما توجهت » .. (يشوع ١ ١ – ٩) ، فيصبح يشوع في كرامة موسى . ويبدأ يشوع الحرب ضد كنعان مؤمناً بأن الله هو الذي يعمل من أجل شعبه . ويعبر الشعب الاردن بصورة معجزة وهذا تكرار لعبور البحر الاحمر (أنظر يشوع ٣ : ١٥ وما بعده) مع الفرق بأن العبور الاول تم بواسطة عصا موسى مباشرة ، أما الان فليس بواسطة يشوع ، بل تابوت العهد يحمل الى وسط النهر فيوقف المياه . وبعد عبور الاردن يحتفل الشعب بالفصح (يشوع ٥ : ١٠) ، ان الوجه الفصحي يستمر . ثم يتم حصار أريحا فيظهر الله اولاً ليشوع : « أنا رئيس جند الرب انني قد دفعت أريحا وملكها الى يدك » (يشوع ٥ : ١٤ الى ٦ : ٢) ، وبعد ذلك يطوف الكهنة بتابوت العهد حول المدينة خلال سبعة أيام فيسقط سورها .

أن الرب يحارب عن شعبه ، وتاريخ اسرائيل يصبح أكثر فأكثر حرباً يقودها الله ، يقودهـا ضد الرئاسات والسلطات وليس فقط ضد الاعداء الارضيين وبالرغم من ذلك فان اسرائيل يخطىء ويعبد آلهة غريبة وكأنه يظن أن الله خادم لاسرائيل وليس اسرائيل خادماً لله ، وأن على الله أن يسحق أعداءه لكي يعطي اسرائيل الارض ويريحهم من أعدائهم فيجمع يشوع الشعب في شكيم ويذكرهم بدعوة الله لاسرائيل واختياره لهم منذ البدء وما صنع معهم ويخيرهم باتباعه أو عدم اتباعه ، ذلك لأن الإيمان يبدأ دائماً باختيار حر

ليس الإيمان إرثاً ينتقل الينا من الاباء والاجداد بل نتبناه « البار بالإيمان يحيا » فالإيمان إذن إيمان حي ولا يتوارث بل يجب أن يمر بحريتي وإرادتي ، « قال يشوع للشعب لا تستطيعون أن تعبدوا الرب لأنه إله قدوس إله غيور لا يصبر على ذنوبكم وخطاياكم . » فأجاب الشعب « كلا بل الرب نعبد » فقال يشوع « انتم شهود على أنفسكم أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه .. » (يشوع ٢٤ : ١٩ — ٢٢)

إن الله يختارنا أولاً منذ الحشا فهذا هو الاختيار الأول ، أما الاختيار الثاني فهو اختيارنا نحن لله في سن معينة بعد أن نكبر ، ثم يأتي الاختيار الثالث وهو من الله أيضاً لأن خدمتنا الآن في حقل الرب لا نعرف أن نؤديها . اننا نؤديها كما نرى نحن وكما نعتقد ونفكر ، في حين أن علينا أن نخدمه حسب إرادته هو .

ب. — وبعد ذلك نشاهد مأساة كبيرة : أمـانة الله تقابلها عدم أمانة الشعب في سلسلة طويلة متتابعة . لقد قال

الشعب كل شيء من الله ولكنهم لا يطيعونــه . الله يبقي في نظرهم ، إله الأعياد والمواسم أي بمثابــة أداة لخدمتهم ، علاقتهم به علاقة سحرية وليست مبنية على الإيمــان . وعندما يتخلى عنهم وينغلبون على أمرهم ويشقون يكون الله لهم بمثابة الملجأ الأخير .

إن هذا حسن . إنهم يصرخون الى الله في النتيجة ورغم كل شيء . هذا مؤسف ، هذا أمر بشري لأن الله هو « الأمين ». نحن نتغير أما هو فلا . (نحن نغير موقفنا فنقول أنه يغير هو موقفه) . وعندمــا نشقى نصرخ اليه من الاعمــاق اليك صرخت يا رب فاستمعني ... » فتأتي النعمة آنذاك حتمــاً . المهم أن نعرف أننا أشقياء ، أن نحس به حقاً وفي الاعماق ، أن نكون عاجزين ، غير معتدين بأنفسنا أو مكتفين بذواتنا ، فالله لا يغفر الاكتفاء الذاتي حتى نوفي الفلس الأخير . وعندما يصرخ الشعب من الأعماق تائبين عندئذ يوجد الله ابطالاً جبابرة يتسلمون زمام الأمور مدة معينة : هم القضاة . ليست مهمــة القضاة وراثية طبيعية بل هي من الله مباشرة يختار من يحب . ثم يعود الشعب الى زيغهم : « وفعل اسرائيل الشر في عيني الرب ونسوا الرب إلهم وعبدوا البعليم والعشتروت .. » ذلك حتى ينتهي سفر القضاة قائلاً : « وكان كل انسان منهم يعمل ما حسن في عينيه » (قضاة ٢١ : ٢٤ – ٢٥) .

إنها الفوضى ، الفوضى التي تدعو الى اليــأس ان شعب الله يؤلف وحدة ولكنها ليست وحــدة طبيعيــة إذ لا ترتبط بمكان وحدود بل هم غرباء في الأرض . فما هو عامل وحدتهم ؟

ليس هو مشيئة بشرية بل إلهية . انه كلام الله الذي خلق العالم وخلق أيضاً شعباً له . فعندما كانوا ينسون كلام الله كانوا يتشتتون وتنفصم وحدتهم . وكان الله يغيب عنهم في تلك الفترة : « كانت كلمة الرب عزيزة في تلك الأيام ولم تكن الرؤى تتواتر » (ملوك الأول ٣ : ١) ففي هذه الظروف وهذا الفراغ طلب الشعب أن يقام عليه ملك..

٢. ملك داود ابدي

« الآن أقم علينا ملكاً يقضي بيننا كجميع الأمم » (ملوك الأول ٨ : ٥) . يطلب الشعب من صموئيل أن يقيم عليهم ملكاً كسائر الأمم ، فيجيب الله : « لم يسأموك أنت وإنما سئموني أنا في توليّ عليهم » ان عندهم ملكاً ولكنهم يريدون ملكاً أرضياً ، وهذا يعني الآن غياب الله عنهم . لقد كان الله معهم حتى الآن بشكل واقعي ملموس كان يصدر لهم مباشرة اوامر ملموسة . أما الآن فلا يعودون يتحسسون حضوره . هذا رفض لله ، ولم يرض به صموئيل ولا الله .

ولكن الله رغم ذلك يقبل طلب الشعب . غير أنه سيعطي لهذه الملكية الأرضية معنى الهياً يتجاوز البشر . انه يقبل لأنه سيحول الأمر حسب مقاصده . وهذا ظاهر في مأساة شاول . فشاول ملك حسب رضى الشعب : أنه أطولهم وأهيبهم ، وهم يحكمون حسب الظاهر . (وهكذا نحن أيضاً نقرر من هو القديس حسب أفكارنا وحسب الظواهر .) فيأتي الله ويخزي شاول . ان شاول يخطىء ويسيء إلى إختيار الله له (يقدم المحرقة له منتحلاً صفة الكاهن) فيختار الله

عوضه داود ، راعي الغنم المجهول ، ويأمر بمسحـه ملكاً .. « إخترتك من المربض من وراء الغنم .. » .. « ويكون بيتك وملكك ثابتين إلى الدهر .. وعرشك يكون راسخاً الى الأبد » (٢ ملوك ٧ : ٥ – ١٦) . فيجيب داود : « من أنا أيهـا الرب الإله وما بيتي حتى بلغت بي إلى ههنا . » (ملوك ٧ : ١٨) . هذا المعنى روحي .

إنها فكرة الملكية الروحية تظهر الآن فبعد فئتي الكهنة والأنبياء يتبنى الله الآن الملكية ويحولها إلهية . هذا يدخلنا من بعيد إلى فكرة ماسيا الملك . « ماسيـا » هو من « مسح » من الله ، من يستريح عليه روح الله . المسحة علامـة نزول الروح ، والملك الحقيقي هو ملك الروح . فالروح قبلاً كان يعمل من الخارج ، كان يسكب على مسحاء الرب إذا لم يكن يسوع بعد قد مجد . أما الان فهو يسكن فينـــا كما في « مظلة » Okehosin أي في داخلنا

لنذكر قــول يسوع : « إن من القيام ههنا من لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكه . » (متى ١٦ : ٢٨) ، وقد رأوا هذا الملك بعد ستـة أيام ، يوم التجـلي (متى ١٧) ، رأوا المسيح على الجبـل في بهائه الأخـير الاسخاتولوجي . إن الملكوت السماوي هو بالتالي الروح القدس يسكن فينـا . بعض النسخ القديمة للصلاة الربانية تقـول : « ليأتِ روحك القدوس » عوض « ليأتِ ملكوتك » . إن المسيح يدعى في المزمور ١٠٩ « كاهناً إلى الأبد على رتبـة ملكيصادق » . هذه فكرة الشمول ، إن كهنوته غير محصور في زمن . فكذلك في الملكية داود لا يقصد به ملكاً لشعبه

فقط بل للجميع . إنه يرمز للملـــك الذي بحسب الروح ، وللجميع ، وإلى الأبد .

٣ الهيكل

لا يبني داود الهيكل بل ابنه سليمان . إن الهيكل مرحلة أخرى نحو تأصل إسرائيـــل في أرض الميعاد ، على منوال الملكيـة . كان تابوت العهد متنقلاً غـير ثابت في مكان . أما الآن فيريدونه بيتاً لسكن الله ومجده . إن الله لا يستسيغ ذلك ، غير أنه يقبـل طلبهم وسيحوله إلى خدمة مقاصده ، كما حول الملكيه . فيبني البيت ولكن إسرائيل يتعلق بهـذا البيت الأرضي ، دون الله ، كما ارتبط بالملك الأرضي أيضاً . إن البيت يبنى لاسم لرب : « هاءنذا قد نويت أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي . » (٣ ملوك ٥ : ٥) .

إن الهيكل اذن يحوي اسم الله ، وهذا يعني حضرة الله في المفهوم اليهودي ، ولكن المسيح يصلي الى الله قبل الآلام قائلاً : « من أجل هذا أتيت الى هذه الساعة . أيها الأب مجد اسمك فجاء صوت من السماء مجدت وسأمجد أيضاً » . ويسوع هو الذي سيمجد : يسوع هو اسم الله الباقي الى الأبد ، فيه يسكن الاسم . انه اسم الله في حد ذاته وهو أيضاً الهيكل كما رأينا .. وهكذا بواسطة يسوع المجد بالقيامة يتحول الهيكل ويبلغ الى معناه الحقيقي الشامل ، ويصير حضرة الله لا لليهود فقط بل للبشرية جمعاء[١] . ويذكر الكتاب من ناحية ثانية أن

---

(١) ليست صلاة اسم يسوع سوى صلاه حضرة الله فينا ..

« الغمام ملأ بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب الغمام لأن مجد الرب قد ملأ بيت الرب » (٣ ملوك ٨ : ١٠ - ١١) . فالرب اذن ، يسكن في الغمام أيضاً رغم سكناه في الهيكل . إنه يسكن في الظلام ، والظلام يرمز الى ما هو فوق كل فهم وادراك . ولم يصبح موسى نيراً الا بعد دخوله الظلام على الجبل [١] .

---

(١) « من أراد أن يكون صاعقة عليه أن يسكن طويلاً في الظلمات » . (نيتشه)

الفصل السادس

السبي والانبياء

ننتقل الان من ملكية داود إلى المرحلة الأخيرة قبل التجسد ، السبي والأنبياء ، وهي مرحلة مأسوية مهمة جداً ، مرحلة حاسمة قبل مجيء المسيح . انها تؤلف قسماً كبيراً من الكتاب المقدس ، أكثر من نصف العهد القديم (بما فيها سفر أيوب والمزامير والأمثال .) ، انها بمثابة مفرق طرق بل هي خلق جديد لإسرائيل ، وخلق مؤلم ، ان اسرائيل بعد اقامته في أرض الميعاد بدأ ينسى دعوته ومواعيد الله له وان قصد الله إنما يتعالى على ما يمكن أن يراه هو ويعتقده . فصار يبتعد وينحرف عن وضعه الماضي ، كشعب كهنوتي وملوكي مخطوب لله ، ويجاري الشعوب الاخرين . وفي الوقت نفسه كان الشعوب حوله يتغيرون . كان تاريخ العالم آنذاك يتغير . مجيء الله يقترب . وقبل مجيئه بثمانمائة سنة كان

هذا الجزء من العالم يتكون بالنسبة للتجسد الإلهي ومن أجله ، الممالك الكبرى تتوالى وتبدل جغرافية المنطقة ، مصر وأشور يحل محلها البابليون والفرس ، والتجربة التي وقع فيها اليهود كانت التحالف السياسي مع هذه المملكة أو تلك ، ونسيان عهد الله ، كانت التحول إلى السياسة والاصطفاف مع أناس ضد أناس آخرين . ومن جراء ذلك فقد الشعب المختار وحدته الروحية والداخلية وانقسم الى مملكتين : مملكة الشمال ومملكة الجنوب . ولذا يصبح جلياً أن على شعب الله أن يتغير تغيراً عميقاً ومؤلماً ليعود الى حمل رسالته . في خروجه من مصر الى أرض الميعاد كان قد اتضح أن « بقية » فقط تتمسك بالأمانة للرب ، والآن ، بعد انقسام اسرائيل الى اثنين ، فهذا يزداد وضوحاً مملكة الشمال تنمو وتتوغل في الوثنية . تمتزج مع الأمم وتتبنى ديناً يختلط فيه دين يهوه مع دين إلهة الامم : وبواسطة الملكات الغريبات يدخل البعول الى بيوت اليهود . فلا بد بالتالي من تغيير ، من محنة جديدة تعيد للشعب نقاوته الأولى ، نقاوة خطبته لك في البرية : « لذلك هاءنذا أسيج طريقها بالشوك واحوطه بحائط فلا تجد سبلها ، فتقفو عشاقها فلا تدركهم وتطلبهم فلا تجد » (هوشع ٢ : ٦ – ٧) .

ان تحالف شعب الله مع الممالك السياسية عوض الله هو فجور . « لذلك هاءنذا اتملقها وآتي بها إلى البرية وأخاطب قلبها .. » (هوشع ٢ : ٦ – ١٧) أتى بها الى البرية : انه شرط لا مناص منه . للعودة الى البرية لاستعادة الحب الاول . أما البرية فهي السبي ، هي فقدان كل متاع : الملك الزمني والهيكل (الذي يهدمه المحتلون) والمدن والثروات والسعادة

الارضية وكل شيء ، هي العودة الى العبودية من جديد . شعب الله من جديد شعب غريب بين الشعوب . إنها المحنة الجديدة فماذا ينجم عنها ؟

أ. الوجه الرؤيوي (Apocalyptique) على شعب الله أن يتوقع تحقيق وعد الله وقصده لا في الزمن بل في نهاية الأزمنة . فالملك المعد له ملك ابدي لا زمني والتاريخ الزمني بممالكه الارضية ، أشور وبابل ومصر وغيرها ، سوف يدينه الله ولن يبقى منه شيء ، وفي الوجه الرؤيوي هذا عدة أفكار ثانوية :

(١) يوم الرب : كان اليهود يعتبرون « يوم الرب » يوم مجد لهم وظفر على الاعداء ، ان أعداء الرب في نظرهم إنما هم أعداء اسرائيل ، وكل ظفر على الاعداء منذ خروجهم من مصر كانوا يعتبرونه بمثابة يوم الرب . كانوا ينظرون إلى يوم الرب العظيم كيوم عيد وتحرير ... ولكن الانبياء يأتون الآن ويغيرون مفهوم يوم الرب ويقولون لليهود : أيها الاغبياء ان يوم الرب لن يكون يوم فرح وسعادة بعد الآن بل يوم رعب ودينونة لكم أنتم أولاً ... « ادخل في الصخر وتوار في التراب من أمام رعب الرب .. » (أشعياء ٢ : ١٠) . « ويل للمتمنين يوم الرب . لم ذلك ؟ ان يوم الرب هو لكم ظلمة لا نور .. » (عاموس ٥ : ١٨) « ان يوم الرب قريب .. يوم حنق ذلك اليوم ، يوم ضرر وضيق ، يوم إبادة وإتلاف ، يوم الظلمة وديجور . » (صفينا ١ : ٧ - ١٨) . ونتذكر هنا سفر الرؤيا حيث ملوك الأرض وعظماؤها وأغنياؤها وأقوياؤها يتوارون في المغاور « وهم يقولون للجبال

والصخور أسقطي علينا وأخفينا من وجـه الجالس على العرش ومن غضب الحمل لأنه قد جاء يوم غضبه العظيم .. » (رؤيا ٦ ١٦) .

فالأنبياء إذن يدخلون شيئاً جديداً كل الجدة على مفهوم يوم الدينونة .. وفي الحقيقة عند مجيء الرب ليدين الأرض ، عنـد مجيء « ساعته » (لقد أتت الساعة التي يمجد فيها ابن البشر ، يا أبت نجني من هذه الساعة ، ولكن من أجل هذا أتيت الى هذه الساعة .. » (يو ١٢ ٢٣ و٢٧) ، يتبين أن الساعة إنما هي الصلب ان الصليب هو يوم الرب ودينونة العالم ، انه يوم غضب على قـوى الشر التي قهرهـــا يسوع ، يوم غضب للمشككين كما أنه يوم محبة وتضحية « محبة مصلوبة » للمؤمنين أحباء الرب .. نعم ان العالم قد دين بموت الرب على الصليب ، والشر قد قهر غير أن الوقت لا يزال وقت صبر الله على البشر إلى أن نبلـغ نهاية الأزمنة « حتى متى أيها السيد القدوس الحق لا تقضي ولا تنتقم لدمائنا من سكان الارض . فأعطي كل واحد منهم حلة بيضاء وأمروا أن يستريحوا مدة يسيرة » .

(٢) البقية ، المساكين : كان إسرائيل قبل السبي والأنبياء يرى في السعادة الارضية علامة البركة : بقدر ما كان المرء غنياً ووجيهاً كان الله معه في نظر الناس ، ثم تغيرت هذه النظرة شيئاً فشيئاً ، وأول من تبنى وجهة النظر الجديدة هو أيوب ، ان سفر أيوب سفر سرّي من أعظم أسفـار الكتاب ، أيوب رجل بار عبد لله يتألم مجاناً ، أن آلامه كلها من الله لا منه ، يسلمه الله للمجرب ليمتحنه فيفقده كل سعادته الارضية ، كلهـا

تماماً ولا يبقى له أية تعزية بشرية ، فيدخل في المحاكمة مع الله . وتجري في السفر شبه محاكمة فيتكلم أصدقاء أيوب الثلاثة وفقاً لنظرة الشعب : انهم يبرون الله لأن الله يجازي من يخطىء . أما أيوب فيرفض ذلك ويأبى أن يقبل آلامه . ان ألم البريء « أثقل من رمل البحار .. » (أيوب ٦) . انه يجاهد ضد الله ، وفي ألمه يكبر وينمو .. الى أن يقبل الله الدخول في حوار معه .. وبعد ذلك يهتدي : « كنت قد سمعتك سمع الإذن ، أما الان فعيني قد رأتك . فلذلك أنكر مقالتي واندم في التراب والرماد » (٤٢ : ٥ — ٦) ، ذلك لأن الله إنما يجيء رفع الضيم والظلم عن الابرياء ، ان هناك باراً سينتقم للابرياء : « اعلموا أن الله هو الذي عرقلني ولف عليّ أحبولته .. اني لعالم بأن فادي حي وسيقوم أخيراً على التراب وبعد ذلك تلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي أعاين الله » (١٩ ٦ و٢٥ — ٢٦) :

ان الفكرة الجديدة هي أن الله إنما يقترب من الفقير والمتألم لا من الغني الوجيه في هذا العالم . وستؤدي هذه الفكرة إلى فكرة « عبد يهوه » في سفر أشعياء : « هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي . لا يصيح ولا يجلب ولا يسمع صوته في الشوارع . » (أشعياء ٤٢ : ١٠) ان « المساكين » ، ان « بقية » فقط تبقى أمينة (انظر أشعياء ١ : ٩ و٣٧ : ٤ وأرميا ٣٩ : ١٠ الخ) . وستقتصر هذه البقية على شخص واحد هو يسوع المسيح . هذا ويتم بعد انتهاء السبي (سفر عزرا ونحميا) بناء هيكل جديد لا يضاهي الاول ويختلف عنه : « كلم بقية الشعب قائلاً من الباقي

فيكم الذي رأى هذا البيت في مجده الأول وكيف ترونه الآن أليس هو في عيونكم كلا شيء . فالآن تشددوا . فأملأ هذا البيت مجداً » (حجي ٢ : ٣ – ٨) . ولكن بقية فقط تتجه نحو أورشليم لبناء الهيكل . وتظهر جماعة قمران الرهبانية ، ويظهر معها أدب جديد يضاد إتجاهات العالم . انها شبه أزمة في إسرائيل . فهناك جماعة يناضلون من أجل مملكة أرضية هم الفريسيون والصدوقيون والأغنياء ، وآخرون يعتزلون العالم هم البقية الصغيرة الامينة . وأخيراً تقتصر البقية على واحد هو الرب يسوع ، ومن الرب يسوع يخرج اسرائيل الجديد ، الكنيسة ، وهكذا بظهور ابن الله يختم العهد القديم لأن ابن الله قد حقق كل خط الانبياء ، كل العهد القديم ، حتى النهاية .

ب. في مرحلة السبي والأنبياء تظهر أيضاً فكرة العدل لقد ابغضت اعيادكم ورذلتها ولم تطب لي احتفالاتكم . اني إذا أصعدتم لي محرقاتكم وتقادمكم لا ارتضي ولا التفت إلى ذبائح السلامة من مسمناتكم . بل ليجر القضاء كالمياه والعدل كنهر لا ينقطع » (عاموس ٥ : ٢١ – ٢٤) . الفكرة الجديدة هي أن الله لا يريد الذبيحة بل العدل والانصاف إنهما يرضيان الله أكثر من الذبائح الخارجية .

ج الرحمة : ان فكرة الرحمة تظهر أكثر ما تظهر عند النبي هوشع الذي تزوج بزانية بأمر الله . « وفي ذلك اليوم يقول الرب تدعينني رجلي ولا تدعينني بعد بعلي ، فأني أزيل أسماء البعليم من فيها .. » (هوشع ٢ ١٦ – ١٨) . ان حب الله يغفر كل شيء لأنه بالضبط حب . الشعب المختار لا

يستحق من ذاته أن يكون مختاراً ولكن محبة الله مجانية : « تدعينني رجلي » . بل « وأتزوجك الى الأبد أتزوجك بالعدل والحكم والرأفة والمراحم . وأتزوجك بالأمانة فتعرفين الرب .. وارحم غير المرحومة وأقول للبس شعبي أنت شعبي وهو يقول أنت إلهي » (هوشع ٢ : ١٩ – ٢٣) . يـأتي وقت تتحول فيه خطبة البرية الى زيجة روحية ، الى اتحاد كلي ، فالله أحبنا أولاً ، حتى بذل نفسه من أجل خلاص العالم « من أجل أحبائه » وعندئذ من جنبه تخرج حواء الجديدة ، بالماء والدم السائلين من جنبه على الصليب تصنع الكنيسة بسريها الأساسين : المعمودية والشكر . الكنيسة نفسها تزوج لختنها البريء من العيب في اتحاد سرّي طاهر ، في جسد واحد .

د. تسامي الله وديانـة القلب : ان فكرة تسامي الله نراها خاصة عند النبي أشعياء ، الله متعال جداً ونحن لا نستطيع أن نقترب منه بدون تطهير ، « ويلي لقد هلكت لأنني رجل دنس الشفتين وأنا مقيم بين شعب دنس الشفاه ، وقد رأت عيناي الملك رب الجنود » (أشعياء ٦ : ٥) . ولكن الله يرسل من يطهرنا ، « فطار إليّ أحد السيرافيم وبيده جمرة أخذها بملقط من المذبح ومس فمي وقال ها أن هذه مست شفتيك فأزيل اثمك وكفرت خطيئتك » (أشعياء ٦ : ٦ – ٧). ان كل سفر أشعياء يظهر خطيئة الشعب وغسلها من قبل الرب الى أن تبنى أورشليم الجديدة وتبني على المسيح ، « أن الجبال تزول والتلال تتزعزع أما رأفتي فلا تزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع ، قال راحمك الرب . أيتها البائسة المقلقة الغير المتعزية هاءنذا أرصص بالأثمد حجارتك وأؤسسك باللازورد .. » (اشعياء ٥٤ :

١٠ - ١١) ، ان اللازورد الازرق لون السماء النقي هو لون المسيح الكلمة حسب الآباء القديسين (انظر رؤيا ٢١ : ١٩ وحزقيال ١ : ٢٦) .

يضاف الى ذلك أن النبي ارميا يؤكد على أن مكان اقتراب من الله المتسامي إنما هو القلب ، هو داخل الانسان ، « ها أنها تأتي أيام يقول الرب أقطع فيها مع آل إسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً .. هو اني أجعل شريعتي في ضمائرهم وأكتبها على قلوبهم .. » (ارميا ٣١ : ٣١) . ونرى الفكرة نفسها عند النبي حزقيال (١٨ : ٣١ و ٣٦ : ٢٦) . إن ديانة العهد الجديد ستكون ديانة داخلية .

هـ. خليقة جديدة : وفي مرحلة الجلاء والأنبياء أيضاً ، فكرة خلق الشعب خلقاً جديداً ، نراها خاصة في الاصحاح السادس والثلاثين من سفر حزقيال النبي ، حيث يتنبأ على العظام اليابسة فيدخل فيها الروح : « ها هم قائلون قد يبست عظامنا ، وهلك رجاؤنا وانقطعنا ، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب : هاءنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي ، وآتي بكم إلى أرض إسرائيل » . (حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤) .

و. ملك الله الأبدي : هذه الفكرة نجدها في سفر دانيال ، دانيال هو النبي « الرائي » بالدرجة الأولى . فإذا كان سفر إشعياء هو « إنجيل العهد القديم » فسفر دانيال هو « رؤيا » العهد القديم . إنه يرينا مجيء إبن الإنسان . يجب

الملاحظة هنا أن في الأنبياء عامة عدم تفريق بوضوح ، بل هناك مزج بين الأزمنة الماسيوية الخاصة بمجيء المسيح الأول والأزمنة الأخروية في آخر الأزمان . « وبينما كنت أرى إذ نصبت عروش فجلس القديم الأيام .. وجلس أهل القضاء وفتحت الأسفار .. ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء ، فبلغ إلى القديم الأيام وقرب إلى أمامه وأوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول ، وملكه لا ينقرض .. » (دانيال ٧ : ٩ – ١٤) .

لنذكر الرب يسوع عندما وقف صامتاً أمام رئيس الكهنة فاستحلفه هذا بأن يقول لهم هل هو المسيح ابن الله فأجاب : « أنت قلت وأيضاً أقول لكم إنكم من الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٣ – ٦٤) .

إن عبارة « ابن الله » كانت سارية في ذلك الحين ولم تكن غير عادية ، فهي تعني رجل الله . إن آل إسرائيل هم « أبناء الله » وكان « مسحاء » كثيرون قبل المسيح . ولكن عبارة « ابن البشر » كانت تعني بالضبط ذلك الملك الذي يتنبأ عنه دانيال والذي سيسود على الأرض كلها . ولذا لما أجاب يسوع : ترون « ابن البشر » فهم رئيس الكهنة الإشارة إلى سفر دانيال وغضب وشق ثيابه قائلاً : « لقد جدّف » . إنه وشعبه لا يتصورون ان الرجل المسكين الواقف أمامهم هو الذي سيدين الأرض ويملك عليها . إن « ابن البشر » هو يسوع

المسيح . إلا أن ملك ابن البشر لا يأتي بالصورة التي يظنها العالم بل بصورة صليب كما رأينا . ولكنه ملك بالرغم من ذلك لأن العدو الأخير ، الموت ، به يقهر . لذا يسوع المصلوب يرسم مفتوح العينين في التقليد الأرثوذكسي : ان ألمه ألم ظافر . « لقد تم » . كل شيء قـــد تغير ، الموت غلب بالموت ، والمساكين يملكون .

الفصل السابع

التجسد

بالتجسد يتحقق كل شيء . أو بالحري يحضر الله بالذات الذي هو كل شيء . بدل الرموز والرسوم ، بدل الظل يأتي فيه الملء ولذا صار كل شيء جديداً . ان التجسد الإلهي يتمم ويحقق كل العهد القديم ولكنه في الوقت نفسه شيء جديد كل الجدة : انها جدة الله الحي ، جدة الحياة التي لا يقيسها قياس ، حياة الله الذي يحل فينا . الإيمان والوعد ، الناموس والوصايا ، الانتظار والرجاء ، الاعياد والاحتفالات والليتورجيا التذكارية ، يحل محلها شخص الله ، حضرة هي بحد ذاتها خلاص وحق وحياة وفي المراحل السابقة رأينا أن كل شيء يهيء مجيء المسيح ويرمز اليه ويفسر به ويقود اليه . ولكن حضور المسيح شيء آخر . « ان الناموس بموسى أعطي أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١ : ٥٧) . إنها جدة

كيانية جوهرية لا تقاس بما سبقها ولا تفهم من الخارج. « الله لم يره أحد قط. الإبن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر » (يو ١ : ١٨). ان مرحلة التجسد هي المرحلة الاخيرة التي تأتي الينا بالله نفسه فيصير فيه كل شيء شخصياً. ان انتظار العالم للخلاص يتحقق في ورود الله بالذات، في شخصه. انه العجيب الفريد، حضور المتسامي الفائق الوصف والادراك، الملء الذي منه كلنا أخذنا، وغاية كل شيء. انه ملء الزمان، فيه لا يتجسد الكلمة فحسب بل يعطى الروح القدس، لأن تدبير الله يستهدف ذاك الحضور السرّي الكامل: استمرار حضور جسد المسيح في العالم يحييه الروح القدس. هذا وان مجرد تجسد الله هو خلاص للانسان: « لقد صار الله إنساناً ليصير الانسان إلهاً » (أثناسيوس الكبير) ان تجسد الله يفتح للانسان مجال التأله. وقد تم عجب التجسد الإلهي لأن الانسان إنما خلق على « صورة الله ». وبالمسيح، « صورة الله غير المنظور »، اتحد الله بالانسان.

ويمكن أن نتبين في مرحلة التجسد الافكار الرئيسية التالية:

١ – حضور الله بين الناس:

بالتجسد يحضر الله. الله يحقق وعده بل كل شيء. الله بالنتيجة لا يعطي شيئاً وإنما يعطي ذاته. هو الوعد والبركة، أرض الميعاد والملكوت، ليس الملكوت شيئاً بل هو الله. ليس في امتلاك شيء بل في الاتحاد بالله، « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧). تلك هي البشارة العظمى. اقترب الملكوت بل

أقبل وهوذا بينكم (متى ١٢ : ٢٨) ، انه الحياة وينبوع الحياة ، الخبز الحي والماء الحي ، الطريق والحق ، نور العالم .. وقد حل فينا .

وفي حضور الله نتبين الافكار التالية :

أ . الاله – الانسان :

ان الله إذ يحضر بين النـاس لا يحضر مترفعاً متعالياً ، بل كواحد منهم بالضبط . الإله التام ينحدر ، ويشاء أن يصير انسـاناً تاماً ، متخذاً الطبيعة البشرية بكامل ضعفهـا (مـا عدا الخطيئـة) ، المسيـح يولد من مريم البتـول ، وبين أجداده قتلة وزناة (متى : كتاب ميلاد المسيح) ، ان حقيقة المسيح كإنسان هي حقيقة كاملة ، ان له إرادة شرية مثلنا ومعرفة بشرية مثلنا انه ينمو مثلنا ويتألم . وقد يتألم حقيقة ، هو يعيش مثل الناس تماماً ويموت مثلهم ، هو إله تام وإنسان تام .

ب . الكلمة :

والمسيح هو الكلمة يخبر عن الله ، هـو النبي الحقيقي الذي وحـده يعلن الله ، « والرسول » حقاً الذي يعرف الرب وجهاً لوجه ، (تثنية ٣٤ : ١٠) ، بل الآتي من حضن الآب ، وصورة الله غير المنظور (١ كو : ١ – ١٥) : « من رآني فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩) . انه كلمة الله .

ج . الابن

والمسيح هو الإبن الذي « رأينا مجده كما لوحيـــد من الآب » ، (يوحنا ١ : ١٤) ، الإبن والوارث وإذ صار « إبن البشر » فقد بلغ تبني الله لنا فيه وبنوتنا لله معناهما الأقصى ، وورثنا فيه كل شيء (رو ٨ ، ١٦ ...) . وابن يأتي ليعلن مجد « الآب السماوي » . « هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت » حين الظهور الإلهي (متى ٣ : ١٧) ويوم التجلي (١٧ : ٥) .

د . الملكوت

ثم بالتجسد يأتي ملكوت الله ، ملكوت شفاء ونعمـــة وقوة . « اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما ، ان العمي يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون » (لو ٧ : ٢٢) . بشرى أشعياء العظيمة تتحقق ، والتطويبات دستور هذا الملكوت : « طوبى للمساكين بالروح ... » (متى ٥) . أما المسيح إبن داود فملك هذا الملكوت يوم الشعـانين ، (مر ١١ : ١٠) ريثما يتبوأ عرشه الحقيقي على الصليب .

ه . الراعي

كان الناس كخراف لا راعي لها ، (متى ٩ : ٣٦) . وبمجيء المسيح جاء الراعي الصالح ، الراعي الوحيد الذي يعرف خرافه « بإسمائها » ، ويذهب أمامهـا ، ويبذل نفسه

من أجلها ليعطيها حياة ابـــدية (يو ١٠) ، لا شفيـــع ولا ملاك بل الرب نفسه . ان الله لا يخلص الانسان من بعيد بل يتجسد الكلمة ، يتسلم بذاته قضية خلاص الانسان وقيادته .

و . الباب

والمسيح هو « الباب » ، (يو ١٠ : ٩) . كان البشر مغلقاً عليهم في مأساة السقوط ، في سجن الخطيئـــة إلى الأبد . فكان المسيح باب الخلاص والحياة . المسيح النازل من السماء ، هو وحده يفتح باب السماء (يو ٣ : ١٣ ، ومتى ٣ : ١٦) . ان له مفاتيح الحياة والتاريخ (رؤيا ١ : ١٨ و ٥ : ٥، ٩) . الذي يفتح ولا أحد يغلق ويغلق ولا أحد يفتح (رؤيا ٣ : ٧) . وترد هنا أيضاً فكرة « البـــاب الضيق » الذي سلكه المسيح وأوصانا بسلوكه من أجل الخلاص (متى ٧ : ١٣ و١٤) : « إن دخل بي أحـــد فيخلص ويدخل ، ويخرج ويجـــد مرعى » (يو ١٠ : ٩) . المسيح هو الباب والطريق : « لأن به لنا قدوم في روح واحد إلى الآب » (أفسس ٢ : ١٨) ، « وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس إسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص » (أعمال ٤ : ١٢) .

٢ – مصالحة الله مع الناس : الصليب

ولكن الناس قد رفضوا حضور الله ولم يؤمنوا به . « إلى خاصته جاء وخاصته ولم تقبله » (يو ١ : ١١) . لقد جند عدو الله

قواته الشريرة ضد المسيح فصار المسيح « هدفاً للمخالفة » (لو ٣ : ٣٤) الله أتى أميناً لوعده ، ولكن العالم لم يعرفه ولم يحتمل حضوره : « أصلبه ، أصلبه » (متى ٢٧ : ٢٣) إنها مرحلة الصليب . الله يذهب بأمانة حتى النهاية ويحب الناس « حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) . بالصليب يبقى الله هو الغالب ، له القول الفصل . الصليب هو الحل الأخير للمناقضة بين الله والناس ، به يتمم الله من أجلنا ، رغم كل شيء ، مقصده الخلاصي الذي منذ الازل ، وبه يعلمنا أن طريق المصالحة هو الطاعة والمحبة .

ويمكن تبين الافكار التالية في هذا المضمار :

أ . حمل الله

ان المسيح المرفوض من الناس ، هو الحمل الذي تكلم عنه أشعياء النبي (أشعياء ٥٣) ، الوديع والمتواضع القلب (متى ١١ : ٢٩) ، الذي يساق الى الذبح صامتاً (أشعياء ٥٣ : ٧) . هو الذي رمزت اليه ذبيحة اسحق ، وهو الذبيحة التي تحل محل الذبائح الظلية في العهد القديم . هو الحمل الفصحي (١ كو ٥ – ٧) الذي لا عيب فيه « حمل الله الرافع خطايا العالم » (يو ١ – ٢٩) . الحمل الذي يعطينا جسده لنأكل ودمه لنشرب . هو أيضاً العبد الذي لم يأت ليصنع مشيئته بل مشيئة الآب الذي أرسله . في اللغة الارامية لفظة واحدة تعني الحمل والعبد ، (أشعياء ٥٣ ويو ١ ٢٩ ورؤيا) ان الإله المتجسد من أجل خلاص البشر هو اله مطيع فقير

متضع منذ اخلائه ذاته (في ٢ – ٧) وولادته في المذود حتى امتداده عارياً على الصليب ان صليب المسيح ، حمل الله والعبد الأمين المتألم ، يبدأ مع انحداره من السماء ليبلغ أوجـــه على الخشبة . وفي هذا العمل الفدائي يقوم هو مقامنا بتضامنه معنا ونحن متضامنون معه .

ب . رئيس الكهنة

والمسيح ليس الذبيحة وحسب ، ولكنه أيضاً الكاهن الذي يقدم الذبيحة ، « المقرِّب والمقرَّب » إنه « كاهن على رتبة ملكيصادق » (مز ١٠٩ : ٤ وعبر ٥ : ٦ و ٦ : ٢٠) ، رئيس الكهنة الأوحد ، الأزلي والقدوس ، الذي قرب ذبيحة نفسه مرة واحدة عن الجميع (عبر ٧ : ٢٦ – ٢٨) ، مبطلاً كهنوت هارون واللاويين . إنه الكاهن وسيط العهد الجديد الذي يحل محـل عهد موسى (عبر ٩ : ١٥ و ١٢ : ٢٤) ، الوسيط الوحيـد الذي ، وهو ابن الله الحقيقي ، الأعظم من الملائكة (عـبر ١ : ١ – ١٣) صار « مجرباً في كل شيء مثلنا بلا خطيئـــة » (عبر ٤ : ١٥) فصالح في نفسه الله مع النـاس (كو ١ : ٢٠) وبذبيحته « دان الخطيئة » (رو ٨ : ٣) مفتدياً إيانا من لعنة النـاموس (غلا ٣ : ١٣) ، ودخل أمامنـا إلى قـدس الأقداس ، مجتـازاً السماوات (عـبر ٦ : ١٩ و ٤ : ١٤) .

ج . الملك الحقيقي

المسيح المذبوح هو أيضـاً ، الملك الحقيقي المكلل بالشوك على

الصليب (يو ١٨ : ٣٧) الذي لا يتسلط على الناس بالقوة « مملكتي ليست من هذا العالم » (يو ١٨ : ٣٦) ، بل يبذل النفس وميثاق الدم . هذه قـوة الله ، ضعفه الأقوى من الناس (١ كو ١ : ٢٥) ، وهذه هي عظمته الحقيقية ، المحبـة « والمحبة المصلوبة » من خلال الصليب ، عرش الرب وموطىء قدميه ، يشع مجد الله ، فإن نور التجلي الإلهي يقترن دائماً بالصليب ويلازمه (لو ٩ : ٣١ أنظر لو ٩ : ٢٣ – ٣١) . والصليب هو الذي يقود إلى القيامة فيعرف حقاً ملكوت الله .

و . المسيح « الحياة »

المسيح القائم من الاموات هو المسيح « الحياة » بالقيامة نبلغ الى كامل اعلان الله الحي . ان الله هو « الاله الحي » وهذا أفضل أسمائه . في القيامة تتجمع وتتلخص كل أسماء الرب . انـه رئيس الحياة (رؤ ٣ : ١٥) وينبوع الحيـاة (مز ٣٦ . ١٠) وخبز الحياة (يو ٦ : ٤٧) ونور الحياة (يو ٨ : ١٢) . في القيامة يتجلى سر الله وعطيته السخية الكبرى . ان الانسان المخلوق يتوق الى الى الحياة « ملتمساً اياها دون ملل . في« قيامة الحياة » (يو ٥ : ٢٩) يصبح الانسان أخيراً حاضراً شفافاً أمام الله الحي نور لا يشوبه ظل ولا مساء ، فتحصل المصالحة التامة الكلية مع الله . الله منذ البدء هو « اله الاحيـاء » يدعونا الى الحيـاة الابدية ، وقـد اعطـانا إياها نهائياً بقيامته المقدسة ظافراً بالموت الى الابد .

٣ – مجيء الروح القدس :

لقد جاء ابن الله الى العالم وتمم قصد الاب في العالم . وبمجيء الروح القدس تمكث حقيقة الله الكاملة وحياته مع الناس . ان الرب يسوع عند موته « أسلم الروح » (يو ١٩ : ٣٠) إذ أخذ الموعد من الآب ، وفي يوم العنصرة افاضه على الخليقة (أعمال ٢ : ٣٣) ليخلق به الخليقة الجديدة ، التي هي الكنيسة . ان إعطاء الروح القدس هو المرحلة الاخيرة من مجيء الله الكامل الى الناس وسكناه بينهم واعطائه حياته لهم نهائياً .

آ – روح الله

عند درسنا الثالوث القدوس نجد صعوبة في فهم أقنوم الروح القدس مع أنه الاقرب الينا إذا جاز القول . ما هو الروح القدس ؟ انه الفة الله نفسها مع الناس (L'intimité de Dieu). ان روح الانسان يؤلف وحدة الانسان العميقة عبر مختلف مظاهر حياته . فمن الطبيعي أن يكون روح الله الزاماً تلك الالفة القصوى التي تتصل بأكثر عمق بألفة الانسان . ان المرء الذي يقتبل روح الله انما يفتح جذور حياته لمجيء الله اليه . فبالروح القدس حياتنا وحياة الله تتحدان . ولكن لماذا لم يأت روح الله قبل الآن الى العالم ؟

ب – روح المسيح

ان الانسان منذ ابتعاده عن الله بالسقوط والموت ، كان يشعر أنه بعيد عن وجه الله . كان روحه مشوشاً مبلبلاً ، ولم

يكن يستطيع أن يتصـــور الله . والله نفسه كان بعيداً عن الانسان . فمعنى التجسد الالهي هو مصالحة الناس مع الله حتى يستطيع الانسان اقتبال روح الله . وموت المسيح على الصليب كان عطية حياة الله نفسها ، لكي يأتي روح الله الى العالم . وهذا الروح يشهد تلك العطية العظمى « يشهد للالام التي للمسيح والامجاد التي بعدها » (بطرس ١ : ١١) انه روح المسيح . لأن المسيح هو الذي اعلن لنا بالروح أن الله انما هو بذل واعطاء منذ الازل . لقد اعطى الله الحياة للكون بالخلق أولاً ولكن هذا لم يكن كافياً . ثم اعطى ذاته إذ صار انساناً مثل الناس صانعاً لهم العجائب وأعمال الرحمة .

ولكن هذا أيضاً لم يكن كافياً ، فأراد أن يعطي أكثر من ذلك : أن يعطي روحه ، ألفته القصوى ، فأعطاها في ذبيحة حب . ولذا يقول : « ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي » . ان البقاء في المسيح هو البقاء في روحه . فنحن أيضاً لا يكفينا القول بأننا مسيحيون وفي المسيح كوننا من وقت لآخر نصنـع أعمال رحمة ونعلن الايمـان ونتحمس له . بل علينا أن نقيم في روحه ونقبله فينا وكأنه يدفعنا الى اعطاء ذواتنا على الدوام أكثر فأكثر الى أن يقوم هذا الملكوت بين الناس . ينبغي أن نفهم إذن أن ملكوت المسيح ليس ملكوتـاً خارجياً ، ليس ملكوتاً حسب العالم . ان الروح هو ملكوت المسيح أي ذلك التحول الداخلي في كل منا حتى نستطيع اقتبال بعضنا بعضاً والعيش معاً راذلين أنانيتنا ومتممين إرادة المسيح .

ج – الروح القدس كتعزية وفرح

ان حياة المسيحي في العالم حياة حسب الروح . وحضور الروح فينا هو تعزية . ماذا يعني هذا ؟ يعني أن المعزي يعطينا في قلب المحن بالضبط فرح ظفر المسيح على العالم والايمان الثابت القادر أن يغلب العالم . بالروح القدس نعرف ونحس اننا لسنا وحدنا فيما بعد . ونحن نكون بالروح بقدر ما نشعر اننا دائماً متحدون مع الله ومع الاخرين . ان فرح الروح ليس فرحاً حسب العالم : انه لا يقصي الألم والمحن . ولكننا به ندرك منذ الان معنى كل ما يجري لنا من أجل محبة المسيح . ان كل ما نقدمه أو نقبله من أجل الله هو لمجد المسيح وخير الناس . وهذا هو مجد المسيح : الفرح الروحي والحياة الابدية للناس .

٤ – الكنيسة

قلنا ان المسيح عند موته على الصليب أفاض الروح ليخلق به الخليقة الجديدة . هذه الخليقة الجديدة والبشرية الجديدة هي الكنيسة (أفسس ٢ : ١٥ وغلا ٦ : ١٥) . من جنب المخلص القاطر دما وماء على الصليب خرجت الكنيسة كمن آدم جديد (يو ١٩ : ٣٤ – ٣٥). وفي يوم الخمسين عمدت بالروح القدس الذي يحييها ويسكن فيها . مع ظهور الكنيسة يبدأ زمان معرفة الله المعرفة الحقيقية العميقة حتى يمتلىء الناس« الى كل ملء الله » (أفسس ٣ : ١٩) . انها الازمنة الاخيرة قبل اقبال انقضاء الدهر .

على ضوء ذلك نتبين الافكار التالية :

آ – امتداد جسد المسيح

ان انسكاب الروح القدس بعد إتمام المسيح عملية الفداء (يو ١٩ : ٣٠ وأعمال ٢ ٣٣) يحقق ويكمل كل شيء . المسيح يرسله « ليعلمنا كل شيء (يو ١٤ : ٢٦) و « يمكث معنا الى الأبد (يو ١٤ : ١٦) . فالكنيسة هي جسد المسيح وروحه . هي « ملء المسيح » (أفسس ١ : ٢٣ وكو ١ : ٢٤) . بها بالروح القدس المنسكب عليها ، يحضر جسد المسيح ويمتد امتداده الكلي ، شاملاً وموحداً الجميع . هو رأسها يؤمن وحدتها وهي جسده (أفسس ١ : ٢٢ وكو ٢ ١٩) . الكنيسة بمثابة ظهور المسيح ومكانه (Epiphanie centrale). تقتني حياته وتعطيها ، انها « عروس الختن » الخصبة (أفسس ٥ : ٢٥ ويو ٣ : ٢٩) و « أمنا جميعاً » (غلا ٤ : ٢٦) . في الكنيسة حياة المسيح عينها تستمر .

ب – شعب الله الجديد

الكنيسة هي شعب الله الجديد : « سأكـــون لهم الها وهم يكونون لي شعباً » (٢ كو ٦ ١٦) ، الشعب الذي كفر الرب عن خطاياه (عبر ٢ : ٧) وقدسه بدمه (عبر ١٣ : ١٢) ، جاعلا أياه أمة مقدسة ، شعب اقتناء (١ بطرس ٢ : ٩) ، « رعية الله »(أعمال ٢٠ : ٢٨ و١ بطرس ٥ : ٢) لقد اختار الرب يسوع قطيعاً صغيراً وهيأة نواة للكنيسة الجديدة : « اذهبوا

وتلمذوا جميع الامم معمدين إياهم ... » (متى ٢٨ : ١٩) . الكنيسة الجديدة لا تقتصر على أمة دون غيرها بل تجمع « أبناء الله المتفرقين الى واحد » (يو ١١ : ٥١) ، ليكون للجميع « نصيب مع القديسين » (أعمال ٢٦ : ١٨) . هذا هو السر المكتوم منذ الدهور (كو ١ : ٢٦ و٢٧) أن يشترك جميع الناس في مجد الله . شعب الله هو جسد المسيح .

ج – شركة القديسين

شعب الله المؤمنون به مرتبطون ومتحدون في « شركة القديسين » . انه الرباط الذي يجعلهم بالروح القدس أعضاء جسد واحد وأغصان كرمة واحدة : المسيح (أفسس ٤ : ٣ وفي ٢ ١ واكو ١٢ : ٣١ ويو ١٥ : ٥) . الجماعة الكنيسة تأتلف أولاً حول البشارة ، حول الكلمة (أفسس ٣ : ٦) ، وتولد بالمعمودية ، ولكنها تتحد وتتقوم أخيراً حول الحمل في سر الشكر . باشتراكنا بالخبز الواحد ، بشركة جسد المسيح نصير نحن الكثيرين خبزاً واحداً وجسداً واحداً (١ كو ١٠ : ١٦ – ١٧) . إن سر اتحادنا بالمسيح في الافخارستيا هو نفسه سر وحدة الجماعة الكنيسة المتحدة بالمسيح . ثم أن اعضاء الجسد الواحد يكملون نواقص بعضهم البعض بواسطة الصلاة المتبادلة (رو ١٥ : ٣٠ وكو ٤ : ١٢ وايو ٥ : ١٦) ومواهب الروح المختلفة « لأجل تكميل القديسين .. لبنيان جسد المسيح الى أن ننتهي . الى قامة ملء المسيح » (أفسس ٤ : ١٢ و١٣). ان شركة القديسين في الروح والمحبة هي بالنتيجة حياة الثالوث القدس (يو ١٧ : ٢٦) . الكنيسة « بيت الله » (أفسس ٢ :

١٩) وهي « مليئة بالثالوث القدوس » (اوريجنس) . انها لا تعدنا فقط لحياة الثالوث القدوس بل توحدنا وتشركنا منذ الآن بحياة الله (٢ بطرس ١ : ١٤) .

ولكن يجب الانتباه هنا الى واجباتنا العملية في الكنيسة ، لأننا عملياً كثيراً ما نرفض المسيح كلما راعينا في أنفسنا ما يقاوم فينا صالح الكنيسة العام ووحدتها وخدمتها ، كلما قاومنا تجديد حياتنا واقتصر إيماننا على التحجر والعادات أو الوسواس، كلما ابتعدنا عن روح الانجيل الذي هو روح بذل وطلب وعطاء المسيح تألم كأنسان ونحن عندما لا نريد أن نتألم من أجله ومن أجل كنيسته نرفضه ثانية ونرفض حياته التي أعطانا إياها . فلا بد من اعتناقنا للكنيسة ليتم قصد الله فينا ومن أجل العالم .

د – كهنوت ملوكي

الكنيسة متجهة الى العالم تكمل فيه عمل المسيح حتى يؤمن العالم ان الآب أرسله (يو ١٧ : ٢١) . تشترك في كهنوته الملوكي (١ بطرس ٢ : ٩ ورؤ ٥ : ١٠) وتمده بخدمة الكلمة (متى ٢٨ : ١٩ ويو ٢٠ : ٢٢ و٢٣) وشهادة التقديس (رو ١٢ : ١) وشهادة الصليب (كو ١ : ٢٤) . أنها في العالم « وساطة سرية » (Sacramentelle) ما دامت جسد المسيح الكاهن وهيكل الروح القدس . الآن هو زمان صبر الله (٢ بطر ٣ : ٩) ، فالكنيسة تنمو « وتتألف » في التاريخ لتضم اليها المختارين . انها مركز الكون ، فيها يتم مصيره . الاضطهادات

ستستمر (يو ١٥ : ١٨ ورؤ ١٣ : ١ – ٧) والهفوات أيضاً في قلب الكنيسة (عبر ٣ : ٧) ولكن الرب قد غلب العالم (يو ١٦ : ٣٣) . العالم يشيخ ويفسد باطراد ، أما الكنيسة فتتجدد على الدوام بتقديمها العبادة الجديدة ، الحقيقة عبادة الروح (غلا ٤ : ٦ ورو ١٢ : ١) سائرة نحو « المدينة » المعدة (عبر ١١ : ٣٣) اورشليم العلوية (رؤ ٣ : ١٢) .

٥ – انقضاء الدهر

الكنيسة منذ البدء متجهة الى الآخرة ، الى المجيء الثاني . « ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء » ، (أعمال ١ : ١١) . الكنيسة تنتظر مجيء الختن (٢ بطر ٣ : ١٢ وعبر ١٣ : ١٤) . هي تعيش في العالم الحاضر (تيطس ٢ : ١٢) ومن أجل خلاصه ولكنها في الوقت نفسه ليست من هذا العالم ، تتطلع الى الدهر الآتي . ذلك لأن « الايام الاخيرة » قد أتت (أعمال ٢ : ١٧ واكو ١٠ : ١١) وأتى « يوم الرب » . ولذا تعيش الكنيسة منذ الآن في ملء الزمن (غلا ٤ : ٤) . فالذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه والذين يشترون كأنهم لا يملكون (١ كو ٧ ٣٠ – ٣١) « اليوم يوم خلاص » (٢ كو ٦ : ١) وليست « نهاية » العالم في الحقيقة سوى خلاصه . ان زمن الكنيسة زمن مقدس ينفتح لأبدية الله . وبتقبله حياة الله يتخذ التاريخ معناه ..

هذا ونورد الافكار التالية في هذا المضمار :

آ – جمع كل شيء في المسيح

إن تدبير ملء الأزمنة يؤول الى « جمع كل شيء في المسيح » (أفسس ١ : ١٠) . ولذا يسمى المسيح أيضاً في الكتاب « بكر كل خليقة » و « البداءة » (كو ١ : ١٥ – ١٦) و « رأس الخليقة » الذي جاء لا لينقض بل ليكمل (متى ٥ : ١٧) . إن كل ما قبله منذ البدء لا يفقد سبب وجوده بل يتخذ فيه كامل معناه . إنه « بكر من الأموات لكي يكون متقدماً في كل شيء » (كو ١ : ١٨) . لقد « دخل مرة واحدة إلى الأقداس » فوجد للخليقة فداء أبدياً (عبر ٩ : ١٢) . صعد بالطبيعة البشرية وجلس بمجد عن يمين الآب (رو ٨ : ٣٤ وأفسس ١ : ٢٠) . فظهرت سيادته على الخليقة منذ الآن .. ولكننا لا نزال في زمان صبر الله ، ولا تزال الخليقة « تئن وتتمخض معاً » (رو ٨ : ٢٢) الى أن يأتي اليوم الذي تتجلي فيه كلياً أمام الملا سيادة الرب ويصير الله الكل في الكل .

ب – مجيء المسيح وملكه

إن مجيء المسيح في اليوم الأخير سوف يكون بمجد عظيم ظاهراً واضحاً للجميع (متى ٢٤ : ٣٠) . بل مجرد ظهوره وظهور نوره الأزلي سيكون دينونة للمشككين . غير أن رؤيته تستلزم أولاً تحول طبيعة الانسان : « لا نرقد كلنا ولكن

نتغير » (كو ١٥ : ٥١) « يزرع جسم حيواني ويقام جسماً روحانياً » (١ كو ١٥ : ٤٤) . إن القيامة تشمل الجميع دون استثناء (١ تس ٤ : ١٦ – ١٧ ويو ٥ : ٢٨) . حينئذ تبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة (١ كو ١٥ : ٢٥) ، ويقضي الديان وينتقم للمظلومين على الأرض (رؤ ٦ : ١٠)[1] وتباد اللعنة الى الأبد . ويكون عهد قداسة وبر (رؤ ٢١ : ٢٧) ويقصي كل حزن وصراخ ووجع (رؤ ٢١ : ٤) . ويظهر المخلصون مع المسيح في المجد (كو ٣ : ٤) ويصيرون مثله (١ يو ٣ : ٢) وتكون السماوات الجديدة والأرض الجديدة (٢ بطر ٣ : ١٣) أورشليم العلوية (رؤ ٢١ : ٢٨ و ١٠ ..) . ومتى أخضع كل شيء للمسيح يخضع للآب الذي أخضع له الكل (١ كو ١٥ : ٢٥ – ٢٨) ويسلم الملك للآب (١ كو ١٥ : ٢٤) . « كل شيء لنا وأما نحن فللمسيح والمسيح لله » (١ كو ٣ : ٢٣) .

ج – الليتورجيا الأبدية

« هللوليا فإنه قد ملك الرب الإله القادر على كل شيء لنفرح ونتهلل ونعطه المجد » (رؤ ١٩ : ٦ و ٧) . كل شيء ينتهي الى ليتورجيا أبدية ، الى اتحاد في المحبة « لمدح مجد » الرب

---

(١) عند اعتلان رب المجد سوف لا يستطيع المرء إلا أن يحبه ، وحينئذ هذه المحبة المحرقة تصير ألماً في المرذولين وفرحاً وابتهاجاً في المخلصين (القديس اسحق السرياني) .

(أفسس ١ : ٦ و ١٢ و ١٤) وإعطائه المجد والكرامة والشكر الى أبد الابدين (رؤ ٤ : ٨ — ١١ و ٥ : ١٣ — ١٤) . وذلك حول « الجالس على العرش والخروف » ، الخروف « القائم وكأنه مذبوح » (رؤ ٥ : ٦) . إنها ذبيحة الشكر الأبدية حول الخروف الحي ، « الغالب » (٥ : ٥) . أما الهيكل فهو الله والخروف ، والنور والسراج أيضاً الله والخروف (رؤ ٢١ : ٢٢ و ٢٣) . إنها الترنيمة الجديدة التي تقابل ترنيمة موسى وتتوج جميع ترنيمات العهد القديم وتسابيحه وتملأ الدهور (رؤ ٩ : ٥ و ١٤ : ٣) . إنها وليمة الملكوت الأبدية (١ كو ١١ : ٢٦ ورؤ ٣ : ٢٠ ومتى ٨ : ١١ و ٢٢ : ١١ — ١٤ واشعياء ٢٥ : ٦) في « عرس الخروف » (رؤ ١٩ : ٧ و ٢١ : ٩ و ٢٢ : ١٧) . أما الكنيسة « العروس » فنداؤها في الروح ومع الروح (رؤ ٢٢ : ١٧) « تعال » قد تحقق الى الأبد .

الخاتمـــة

إن هذا العرض السريع الذي عرضنا فيه الكتاب المقدس في مختلف مراحله وتياراته ، لا يدعي أنه عرض شامل كامل . ثم ان الطرق التي يمكن بها تقسيم مراحل الكتـاب وتبويبها لا شك تتنوع ، فكل من يطالع الكتاب حقاً يستطيع أن يتبين فيه ويرتب تفصيل مراحله وموضوعاته (بين كبيرة وصغيرة) بطريقته هو ، التي قد تختلف في تفاصيلها (لا في جوهرها) عن طريقة غيره .

ولكن الامر المهم والغاية التي رمينا اليها في هذه الصفحات هما بيان روحانية الكتاب الحية والعميقة في وحدتـه المترابطة « العضوية » اذا جاز القول ، والمرادة من الله . فاذا كنا قد نجحنـا في ذلك الى حد مـا ، أو على الاقل اذا كنا قـد نجحنا في إيجاد الرغبة عند القارىء في الدخول بنفســه الى عالم الكتاب والتوغل فيه ، وسبر غـوره الذي لا قرار له ، بغية التعرف على كنوزه والتغذي منها حسب حاجة روحه ،

نكون قد تقاضينا بدل أتعابنا أضعافاً ، ونحن على كل حال شاكرين لله .

إن الكتاب المقدس ، الى جانب الروحانيـــة الليتورجية وروحانية الآباء اللتين يحييهما الروح الواحد الذي يحيي روحانية الكتاب ، كما رأينا في توطئة هذه الصفحات ، إنما هو ينبوع من ينابيع الروح لا يستغنى عنه في الحياة الروحية ولا يقوم مقامـه شيء على الارض . هو كتاب الله يعطينا فيه كلمتـه وحياته وملكوته .

فالرب نسأل أن لا نهمل عطية عظيمة كهذه ، حتى يكون له السبح والملك والمجد الى أبد الآبدين أمين .

فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

الباب الثالث

انجزت دار الطبـاعة والتجليد في بيروت

تلفون : ٤٥٢١١٩

طبـع هـذا الكتاب في ٢٠/٢/١٩٧٨

لحساب منشورات النور – ص.ب : ٢٩٦٦

بيروت – لبنان

الثمن ٦٥٠ قرشاً لبـنانياً